

الإيدز

حصاد الشذوذ

الدكتور

عبد الحميد القضاة

B.Sc., M.Sc., M.Phil., Dp.Bact., Ph.D. (U.K)
اختصاصي تشخيص الأمراض الجرثومية والأمصال (بريطانيا)

الطبعة الثانية
منقحة ومزودة
١٩٨٦م – ١٤٠٩هـ
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الناشر

دار النشر الطبية
لندن

دار ابن قدامة للطباعة والنشر
لندن – بيروت

TELEX: 8953681 DELTRAG

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم أنبياءه
وبرسالته أديانه وبعد:

ليس كل ما يكتب حرياً بالتسجيل أو النشر، ولا كل من يكتب يقدم
للناس شيئاً نفيساً، وأن القليل منهم الذي يوفق لاختيار ما يكتب، ذلك لأن
التأليف فن يحتاج إلى جهد وصبر وأناة، خاصة التصدي لموضوعات علمية،
حديثه النشأة، شحيحة المصادر كموضوع "الايديز". ويزداد الجهد،
ويتضاعف الصبر عندما يعمد المؤلف إلى صياغة موضوعه بلغة سليمة
وموضوعية تامة ودقة متناهية، وتقديمه بأسلوب سهل مع الحفاظ على
أصالة الفكرة.

ولقد وفق الله الدكتور عبد الحميد القضاة، أخصائي تشخيص
الأمراض الجرثومية والأمصال، برغم انشغاله الدائم بمختبراته وأبحاثه
العلمية إلى إصدار هذا الكتاب القيم "الايديز حصاد الشذوذ" في مدة وجيزة
فكان من بواكير الكتب التي أماطت اللثام عن هذا المرض الخطير.

ونظراً لخطورة مرض الايديز فقد حظي باهتمام وسائل الإعلام
والسلطات الصحية في العالم حتى أصبح هاجس الخاصة والعامة، وبرغم هذا
الاهتمام المميز إلا أن الكتب التي عالجتها يكتنفها الغموض، وهي قليلة قلة
المعلومات المتوفرة عنه وحديثة حداثة ظهوره. وهي مع قلتها ظهرت في
بداية عام ١٩٨٦م، علماً أن الدكتور القضاة أدرج هذا المرض في كتابه
السابق "الأمراض الجنسية عقوبة الهية" الذي صدر في مطلع عام ١٩٨٥م.

ونحن المشتغلين في هذا المجال، نعرف الجهد الكبير والمشقة
البالغة التي بذلها المؤلف في صياغة مثل هذه الموضوعات العلمية الدينية
بلغاة العصر، ونوصي أبناء جلدتنا الاستفادة منه، كما أننا وتعميماً للفائدة
ورغم شح الموارد نعيد طباعته للمرة الثانية، ونتمنى على المؤلف ترجمته
إلى الإنجليزية.
وجزاه الله عنا وعن قومنا خير الجزاء والله المستعان وهو ولي
التوفيق.

رئيس جمعية الأطباء المسلمين
في المملكة المتحدة وايرلندا
لندن في ١٩٨٦/٣/١ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله الذي أصطفى وبعد: فقد ظهر مرض الإيدز فجأة، وكأنه جاء من عدم، تناولته وسائل الإعلام، فزادته غموضاً، حتى ساد الكرة الأرضية رعبٌ هائلٌ، من جرّاء هذا المرض الذي انطلق من عقاله، بلغ الرعب درجة الهستيريا، وأسقط بأيدي الناس، بعدما رأوا آلاف الضحايا من الشباب، يتساقطون صرعى أمام سمع وبصر الأطباء والمختصين، وفي عواصم الطب في العالم، دون عون أو نصير، ودون أمل بالنجاة.

حظي الإيدز بأضواء واهتمامات، قلّما حظي بها مرض آخر، حتى أصبح هو، والرعب منه، وما يشاع حوله، حديث الساعة وشغل الناس الشاغل، فأسهم في عودة حقيقية عند الناس نحو الأخلاق والمثل العليا والإخلاص للحياة الزوجية، وبذا يكون قد قدّم للبشرية في مدة وجيزة ما لم يُقدّم آلاف الوعاظ والمصلحين الاجتماعيين في عشرات السنين.

وبدأ الناس يصيخون السمع لصت العقل، فمنهم الذي ترك الترف والمجون ومنهم الذي عزف عنه، محذراً من مغبة الشذوذ والارتكاس فيه، والأهم من هذا وذلك، أن يظهر في الغرب من يحذر من الشذوذ، رغم أنهم غارقون فيه.

فما هو هذا المرض، وكيفية انتقاله، وسبل تجنبه، ومن هم المعرضون للإصابة به، وهل تستحق خطورته كل هذه الضجة الإعلامية، خاصة في بلادنا الإسلامية، هذا ما عرضنا له على صفحات هذا الكتاب،

سائلين الله أن نكون قد قدّمنا لأمتنا من خلاله خدمة حقيقية، وفاءً ببعض حقها علينا.

وما كان لهذا الجهد المتواضع أن يرى النور، لولا توفيق الله ثم مساعدة نفر كريم أخص بالذكر منهم، الزملاء في المختبرات التخصصية، والأستاذ محمود أبو ارشيد، والدكتور فاروق قعدان، وكذلك السادة الذين كانوا يزودونني بالتقارير العلمية حال صدورها في أميركا وبريطانيا وهم: الدكتورة آن مستراتس من جامعة مانشستر/ بريطانيا، والآنسة ليلى النمري من جامعة تولين/ أميركا، والسيد عارف المومني/ جامعة نيويورك. شاكرًا لهم مساهمتهم الخيرة. والله من وراء القصد.

المؤلف

الفصل الأول

لمحة تاريخية عن ظهور الإيدز

لمحة تاريخية عن ظهور الإيدز

"... أنا بانتظار القدر، إنه يدق بابي، أستمع إلى صوته في أعماقي، لم أكن أورد أن أتعذب هكذا، ومن خلال هذا المرض اللعين- الإيدز- سرطان العصر، ورغم ابتسامات الكثيرين، وتهنئتي بالتماثل للشفاء، إلا أنني على موعد مع القدر... إنه يدق بابي، اللحظات الأخيرة..." كلمات نطق بها أحد مرضى الإيدز قبيل موته، قالها روك هيدسون الذي تربع على عرش السينما الأمريكية، فلم يكن ينقصه من مال ولا شهرة، قالها وهو على فراش الموت بعد أن هدته آلام الإيدز، هذا المرض الذي لم يتجاوز اكتشافه بضع سنين، وقضى على آلاف المرضى وهم في ريعان الشباب.

رغم العواقب الوخيمة، والويلات المفجعة للفوضى الجنسية، إلا أن الثورة الجنسية لم تنته من العالم، ولكن يمكن القول إن غالبية الشعوب، وخاصة الشعب الأمريكي، أصبحت الآن في حالة إجماع عنها، لا نزاهة ولا عفة، وإنما فعلت ذلك خوفاً من كابوس الإيدز، الذي كثيراً ما سمي "بالرعب" أو "الطاعون" والذي لازالت موجة الخوف منه تتصاعد حتى بلغت في بعض الأماكن درجة الجنون والهستيريا، حتى أحجم أكثر الناس ميلاً للانحلال الخلقي والشذوذ الجنسي، عن ممارستهم المعتادة.

وفي حمأة الرعب، بدأ الناس يصيخون السمع لصوت العقل فمنهم المتشائم الذي يقول: "إنّ هذا المرض سيكون مشكلة كل فرد منا"⁽¹⁾ والذي

⁽¹⁾ الدكتور نويل سكرام، رئيس فرقة مكافحة الإيدز في لوس أنجلس.

يقول: "إنَّ مَنْ يمعن النظر في هذا المرض، وما ينطوي عليه، سيدرك أن العالم يواجه أسوأ مصيبة في تاريخه"^(١). ومنهم المتفائل الذي يقول ناصحاً: "علينا أن نفهم عملياً أن السلامة تقتضي الاتصال الجنسي بطرف واحدٍ لا غير"^(٢).

ونظراً لخطورة هذا المرض، وسرعة فتكه بالمصابين، وما رافق ذلك من ضجة إعلامية، ربما تجاوزت الحقيقة أحياناً في ما يتعلق بالمجتمعات المحافظة، وربما لم تتجاوزها في المجتمعات التي ترى في الجنس عملية بيولوجية يجب ممارستها عن أي طريق وبالتالي لا ترى في الأمراض الجنسية أكثر من زكام لا يلبث المصاب به أن يشفى، ونظراً لحدائته على الساحة الطبية، بالإضافة إلى الغموض الذي يكتنفه، فقد اختلط صوت العلم بصخب الجهل، وتخبط فيه العلماء والأطباء كثيراً، وطفقوا يبحثون يمناً ويسرة عن المتغيرات التي طرأت على مجتمعهم، ويتهمون كل جزئية أنها السبب الذي أصابهم بهذا الداء، فتراهم تارة يتهمون سكان جزر هايتي، وأخرى يتهمون القروء الخضر أنها السبب والمصدر. وتتكشف بعض الحقائق لتظهر براءة هؤلاء وهؤلاء، وتظفر العدالة بالمتهم الرئيسي، وهو الشذوذ بشتى صورته وأشكاله، جاء ذلك على لسان الدكتور "روبرت روفيلد" عندما أعلن في الخدمات الطبية التابعة للجيش الأمريكي قائلاً: "إن الوقت كفيل يإظهار حقيقة هذا المرض الجنسي الذي لا ينتشر إلا بالواط والإباحية والطرق الجنسية الشاذة".

(١) الدكتور ادوارد كاتس من مركز مراقبة الأوبئة في الولايات المتحدة الأمريكية.

(٢) الدكتور ولتر دورل من مركز الأوبئة في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد أثار مرض الإيدز موجة عارمة من الخوف والهلع، أصابت الخاصة والعامة في المجتمعات الغربية والشرقية على السواء، وبذا تهيأ وسط مناسب للإشاعات تناقلتها الألسنة دونما تحييص، فمن قائل إنه ينتقل بالمصافحة أو الملامسة، أو مؤكلة المصاب والتحدث إليه، ومن مدّع أن التبرع بالدم هو المسؤول عن انتقاله، حتى عزف الناس عن ذلك. وقد وصل الخوف إلى الأطباء أنفسهم، وتردد أطباء التخدير والمختبرات في التعامل مع المصابين به.

وتفاقم الأمر وازداد سوءاً، حتى أصبح الشغل الشاغل للسلطات الصحية في الولايات المتحدة الأمريكية، فأنشأت له مراكز متخصصة في كثير من بلدان العالم، تعنى به وتشرف على إصدار النشرات والدوريات الطبية التي تركز على أحدث الأبحاث والدراسات الخاصة به، كما خصصت له ميزانيات ضخمة لدعم الأبحاث المختلفة، حيث بلغت ١٣٠ مليوناً من الدولارات، ولا يكاد يمر شهر إلا ويعقد فيه مؤتمر دولي أو أكثر عن هذا المرض.

وقد قدرت هيئة مراكز مكافحة الأمراض في أمريكا، أن الكلفة المطلوبة لعلاج الحالات الجديدة هذا العام، ربما تصل إلى (٣٣٦) مليون دولار، علاوة على (١٠٠) مليون دولار لتنظيم برنامج فحص الدم قبل نقله إلى المحتاجين له، أو استعماله في صناعة مركز العامل الثامن اللازم لعلاج مرضى الناعور (الهيموفيليا).

ورغم النداءات المتكررة التي يوجهها مركز مراقبة الأوبئة في أطنطا، بضرورة التعقل إزاء هذا المرض والمصابين به، إلا أنّ معاناة المصابين به لم تقف عند حد آلام المرض والرعب من المصير المحتوم الذي

سيؤولون إليه، بل تعداه إلى تعسف أصحاب المساكن وأرباب العمل والمدارس معهم، حيث بدأ الناس يفرون من المطاعم والصالونات ومراكز التدليك التي يخدم بها الشاذون، ليس هذا فحسب بل تعداه أيضاً حتى أن الشرطة أخذوا يلبسون قفازات مطاطية قبل تفتيش جيوب الشاذين، خوفاً من العدوى به، كما منعت نقابة رجال الإطفاء والإسعافات الأولية موظفيها من استعمال الفم في تنشيط الجهاز التنفسي عند الضحايا خوفاً منه.

ونتيجة للأعداد الكبيرة التي ماتت من مرض الإيدز، رغم كل الجهود الطبية الممكنة، ولما يعلن عنه في الندوات والمؤتمرات ووسائل الإعلام المختلفة من عدم توفر علاج شاف له^(١)، ازداد الناس رعباً وأخذوا يفرون من الشذوذ والشاذين، وطردوهم من أعمالهم، وفقدوا تأميناتهم الصحية، وعزلوا اجتماعياً، وقد عبر عن ذلك أحد الشاذين بقوله: "إنك لا تعيش الآم الإيدز فحسب، ولكنك تعيش منبوذاً من المجتمع حتى بعد موتك، فهم يرفضون تجهيز جثتك، ولا شيء يجعل الإنسان تعيشاً أكثر من ذلك"^(٢).

وأول إشارة عن هذا المرض، جاءت من الدكتور "ميشيل غوتليب" في لوس أنجلس، عندما عالج عدة حالات من التهاب الرئة الحاد الناتج عن طفيل نادر الوجود وقليل الانتشار، يسمى (Pnemocystis Carinii) ولا يصيب عادة إلا من يعانون تلفاً في أجهزتهم الدفاعية، ونقصاً في مناعتهم، ومن الملفت للنظر أنّ هؤلاء المرضى كانوا شباباً، ومن الذين كانوا يتمتعون سابقاً بصحة جيدة، إلا أنهم من الشاذين جنسياً.

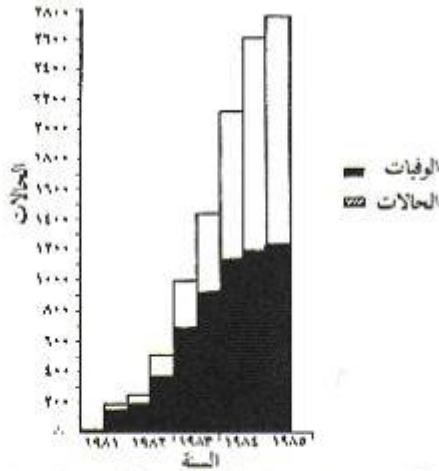
(١) المؤتمر الثامن للجمعية الدولية للأمراض الجنسية- بريطانيا ١٩٨٥ م.

(٢) الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها د. محمد على البار.

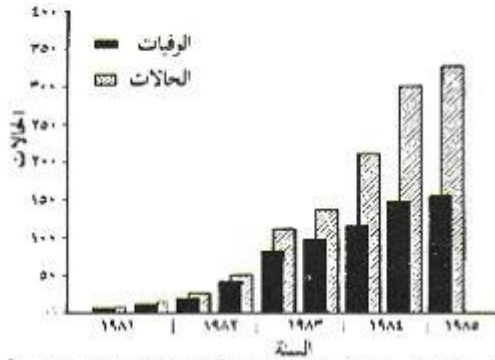
وفي حزيران عام ١٩٨١م، ظهر أو منشور عن هذا المرض الجديد من مركز مكافحة الأمراض (C.D.C) في أتلنطا في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو مركز متقدم ومتخصص في مراقبة ومكافحة الآفات. وفي الوقت نفسه ذكر الدكتور "فريدمان" من جامعة نيويورك عن حالات شباب شاذين، أصيبوا بسرطان نادر الحدوث، يُسمى سرطان "كابوسي"، ثم تتالت الحالات ظهوراً في نيويورك وسان فرانسيسكو ولوس أنجلوس وغيرها، كما بدأت تظهر خطورة هذا المرض وتزداد حدته يوماً بعد يوم.

ورغم أنّ أول وصف موثق لهذا المرض قد ظهر في عام ١٩٨١م، إلا أنّ العلماء يعتقدون أن الإصابة به، قد حصلت قبل هذا بكثير، نظراً لطول مدة الحضانة التي ربما تمتد إلى عدة سنوات قبل ظهور أول علامة للمرض. تتابعت الأحداث، وتزايدت أعداد المرضى، فبينما كانوا عام ١٩٨١م (٢٥٢) مريضاً في الولايات المتحدة تضاعف هذا الرقم إلى أكثر من عشرة أضعاف عام ١٩٨٣م، إذ بلغ عددهم (٢٦٤٣) مريضاً، مات منهم ٦٠%. وفي بداية عام ١٩٨٥م بلغ عددهم عشرة آلاف مريض ثم تجاوز عددهم في نهاية العام نفسه خمسة عشر ألف مريض في الولايات المتحدة وحدها (الرسم البياني رقم ١). وقد أعلن في نيويورك، أن عدد الموتى من الإيدز، قد فاق عدد الموتى بحوادث السيارات عدة مرات، إذ زاد عدد الإصابات فيها وحدها عن خمسة آلاف حالة، حيث يكتشف ويشخص فيها الآن، أكثر من مائتي حالة شهرياً^(١).

(١) تقرير قسم الصحة في نيويورك عن الإيدز (أكتوبر ١٩٨٥م).



رسم بياني رقم (١) يمثل عدد الحالات المثبتة والوفيات بالابديز في الولايات المتحدة الأمريكية حتى نهاية عام ١٩٨٥ م.



رسم بياني رقم (٢) يمثل الحالات المثبتة والوفيات بالابديز في الدول الأوروبية حتى نهاية عام ١٩٨٥ م.

وبالرغم من أن الولايات المتحدة قد نالت نصيب الأسد منه إلا أن كثرة السياحة، وسرعة المواصلات ساعدت على انتشاره في أنحاء الكرة الأرضية، وقد أعلنت منظمة الصحة العالمية أنه قد ظهر في (٤٣) دولة في العالم، وأن أعداد المصابين به تتزايد بشكل مستمر، وأن أكثر من نصفهم قد فارق الحياة، وأنه وباء عالمي وفتاك، ولا بد من تضافر الجهود الدولية لمكافحته (الرسم البياني رقم ٢). جاء ذلك في النداء الذي وجهه الدكتور "وايزمن"، أثناء ترأسه المؤتمر الأوروبي لعلماء الأمراض الذي عقد في اليونان في السادس من أيلول عام ١٩٨٥م حيث قال: "مرض الإيدز مشكلة عالمية، ولا بد من العمل باهتمام بالغ لإيجاد حل له، وبالرغم من أننا نتكلم لغات مختلفة، ونعيش في مناطق مختلفة، إلا أن جهودنا يجب أن تتضافر لذلك".

ورغم إعلام منظمة الصحة العالمية، في المؤتمر الذي عقده في جنيف لهذه الغاية في الأسبوع الأخير من أيلول عام ١٩٨٥م، من أن الإيدز، مرض جنسي، ينتقل في الغالبية العظمى من جراء الشذوذ، إلا أن الناس وعلى اختلاف مشاربهم، أصبحوا يتخوفون منه ويخشون الإصابة به، وذلك لجهلهم بالمرض وأسبابه وطرق انتقاله، وفي الحقيقة أنهم لا يلامون في ذلك، لأنّ الطب والأطباء لا زالوا في حيرة منه ومن انتشاره.

ومن الغريب، أن بعض الأقاويل والنظريات عن مصدره وطرق انتقاله، جاءت على شكل اتهامات موجهة من دولة إلى أخرى، فالروس مثلاً يتهمون الأمريكيان بان فيروس مرض الإيدز قد انتشر نتيجة لتجاربهم على القنابل الجرثومية في مختبراتهم الخاصة، والواقع أن ذلك لا يمكن أن يكون حقيقة، لأن جراثيم الحرب الجرثومية التي تُعدها كل من روسيا وأمريكا

وغيرها، لو قدر لها أن تنطلق من عقالها، فإنها ستأتي على البشرية جمعاء دونما تمييز وتهلك الجميع في آن واحد، في حين أن هذا الفيروس، يبحث عن ضحية معينة تتوافر فيها شروط ومميزات خاصة، هي الشذوذ الجنسي والإدمان على المخدرات. وبالرغم من وجود جراثيم مُهجنة في المختبرات الحربية لهذه الدول ربما تكون أكثر فتكاً ودماراً من الإيدز، إلا أنني لا أعتقد إطلاقاً بان مصدر هذا الفيروس هو مختبرات القنابل الجرثومية، سواء أكانت شرقية أو غربية.

وقد أوضح مركز مراقبة الأوبئة في الولايات المتحدة هوية المعرضين للإصابة به، حيث نشر إحصائية في تشرين الثاني من عام ١٩٨٥ م تقول: "إنه من أصل (١٤٧٣٩) حالة إيدز، كان (١٠٦٥٣) منهم من الشاذين جنسياً (اللوطيين والمخنثين) و(٢٤٩٤) منهم، من المدمنين على المخدرات بوساطة الحقن الوريدية، وأما العدد الباقي فموزع بين زوجات المصابين وأبنائهم وبين الذين نقل لهم دمّ ملوث بفيروس هذا المرض، أو أعطوا من مشتقات ذلك الدم الملوث به"^(١).

وتذكر السلطات الصحية في كثير من دول العالم، أن أعداد مرضى الإيدز تتضاعف بشكل متواليات هندسية مخيفة، الأمر الذي يزداد معه الهلع والخوف من هذا المرض حتى عمّ الرعب الكرة الأرضية من هذا الكابوس، ومما زاد الأمر عجباً أن المصابين به، أصبحوا يموتون في عواصم الطب، وأمام أعين المختصين، والمراكز المختصة، دون أن تستطيع أن تنقذهم من

^(١) نشرة إحصائية في ١٩٨٦/٢/٣م من قبل مركز مكافحة الأمراض في الولايات المتحدة مفادها أن عدد حالات الإيدز المثبتة في أمريكا وحدها أصبح (١٧٠٠١) حالة، وذكر التقرير الأسبوعي الذي صدر عن المركز نفسه بتاريخ ١٠/٢/١٩٨٦م أن عدد المرضى أصبح (١٧٣٦١) وهذا يعني هور (٣٦٠) حالة جديدة خلال أسبوع واحد.

برائث الموت، أو تمد في أعمارهم ولو للحظة واحدة، بالرغم من قدراتهم المالية الفائقة، واستعدادهم المطلق للتضحية بها في سبيل ذلك. وهكذا أصبح الموت بسببه يوازي أو يفوق الموت بأمراض القلب وغيرها، كما أصبح المصابون به يقضون أواخر أيامهم يصارعون الموت وحدهم، دون نصير وبحالة نفسية محطمة.

الفصل الثاني

تعريف مرض الإيدز

تعريف مرض الإيدز

وضع مركز مراقبة الأمراض (C.D.C) في الولايات المتحدة الأمريكية، ونظيره في بريطانيا (CDSC)، تعريفاً لمرض فقدان المناعة المكتسبة (الإيدز)^(١)، ووافقت عليه منظمة الصحة العالمية، ممثلة بمركزها المختص بهذا المرض، وموجز هذا التعريف، أنه يجب أن تتوفر الأمور التالية في المرء، حتى يكون مريضاً به وهي:

١. أن يعاني من إنتان إنتهازي أو أكثر يدل على تدهور في جهاز المناعة عنده كبعض الإنتانات التي تسببها طفيليات أو فطريات أو فيروسات أو بكتيريا، أو عنده سرطان الجلد المسمى "كابوسي ساركوما".
٢. أن يكون عمره أقل من ٦٠ عاماً، وسبق له أن كان يتمتع بصحة جيدة.
٣. أن لا يعاني من أيٍّ من الأمور الطبية المتعارف عليها كأسباب لفقدان المناعة، مثل استعمال بعض العلاجات، أو المعاناة من أورام سرطانية أو فشل كلوي.
٤. عزل الفيروس المسبب لمرض الإيدز (HTLV III) من المريض، أو على الأقل كشف الأجسام المضادة الخاصة بهذا الفيروس في دم المريض.

هذا هو التعريف الذي تم الاتفاق عليه بشكل عام لغايات شخصية وإحصائية، ولا زال متبعاً إلى الآن. وقد حدثت أمور علمية على جانب كبير

(١) كلمة الإيدز (AIDS) هي عبارة عن الأحرف الأولى للكلمات التي يتكون منها اسم المرض باللغة الإنجليزية وهو: (Acquired Immuno Deficiency Syndrome).

من الأهمية في هذا المجال، يحسن ذكرها بـإيجاز قبل الدخول في المرض بشيء من التفصيل، وهي:

أولاً: أن الفيروس (LAV)، قد اكتشف في فرنسا في معهد باستور، في أيار عام ١٩٨٣، كما اكتشف الفيروس (HTLV III)، في المعهد القومي لأبحاث السرطان في أمريكا في أيار عام ١٩٨٤، ورغم اختلاف التسميات، إلا أنهما اسمان للفيروس المسبب لمرض الإيدز.

ثانياً: أعلنت وزارة الصحة الأمريكية، في مؤتمر صحفي بتاريخ ١٩٨٤/٤/٢٣ م، أن الفيروس الذي يسبب هذا المرض يسمى (HTLV III)، وفي الحال أودع مكتب تسجيل براءات الاختراعات في أمريكا العديد من الطلبات، لزراعة هذا الفيروس وإجراء التجارب عليه.

ثالثاً: أجازت الحكومة الأمريكية رسمياً لخمس من الشركات في حزيران عام ١٩٨٤ زراعة هذا الفيروس، ثم تطوير طريقة للكشف عنه، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

رابعاً: وفي آذار عام ١٩٨٥، صدر أول ترخيص رسمي من هيئة مراقبة الأغذية والأدوية الأمريكية (FDA)، لتسويق طريقة طورت للكشف عن وجود أجسام مضادة للفيروس في الدم عند المصابين.

خامساً: جرت وتجري أبحاث واختبارات مكثفة في مختلف دول العالم، لإيجاد علاج شاف لهذا المرض، إلا أنها لم تتوصل إلى نتائج إيجابية إلى الآن.

سادساً: تجري أبحاث مكثفة لمحاولة صناعة طعام واق من هذا المرض، إلا أن هذه الأبحاث لازالت تتعثر، وذلك نظراً لما يتمتع به فيروس هذا المرض من خصائص غريبة.

الفصل الثالث

الفيروس المسبب للإيدز

الفيرس المسبب للإيدز

عندما فوجئ العلماء بهذا السيل العارم من مرضى الإيدز، وكانت غالبيتهم العظمى من الشاذين جنسياً، اتجهت أنظار العلماء آنذاك إلى الظروف التي يعيشها هؤلاء الشاذون، لعلهم يجدون السبب الجرثومي لهذا المرض، فظهرت نظريات عديدة في هذا الاتجاه، انتهت إلى اكتشاف السبب الحقيقي له. وأولى هذه النظريات تقول: إن بعض المواد الكيماوية التي يستعملها الشاذون لأغراض متعددة، منها تنشيط الرغبة الجنسية عندهم، وتسهيل عملية اللواط، كمادة أمايل نيترات (Amyl Nitrite) وغيرها، هي المسؤولة عن إصابتهم بهذا المرض، في حين ركزت النظرية الثانية، على أن السبب هو تعرض الشاذين لأنواع عديدة من السائل المنوي من مصادر مختلفة، وهذا ربما يؤدي إلى فقدان المناعة عندهم. ورغم حدوث مثل هذا الأثر عند الشاذين الذين يلاط بهم، إلا أن هذه النظرية، لم تفسر للعلماء لماذا يحدث هذا المرض للطرف الفاعل في عملية اللواط، كما أنهم لم يفسر لهم كيف ولماذا يصاب به بعض الناس إذا أعطوا دماً، أخذ أصلاً من أحد المصابين به؟

وبعد فشل هاتين النظريتين، اتجهت أنظار العلماء للبحث عن ميكروب معدٍ، يسبب هذا المرض، إذ من شأن هذا وحده، لو وجد، أن يجيب على جميع الأسئلة التي تطرح في هذا المجال. وهكذا تركزت أبحاثهم على الفيروسات بشكل خاص، لأنهم يعلمون من واقع معرفتهم المسبقة، أن بعض الفيروسات لها تأثير في أجسام بعض الناس، تشبه ما يحصل لمرضى الإيدز، فمثلاً فيروس (C.M.V)، له مقدرة على الإلتلاف الجزئي لجهاز المناعة عند

الإنسان والحيوان، وكذلك فيروسات (E.B.V) وريتروفايروس، لها مقدرة على إحداث سرطانات عند الإنسان والحيوان، وخاصة سرطان الدم. كانت رحلة العلماء شاقّة في هذا المجال، لأن مرضى الإيدز عادة، يعانون من أمراض جنسية كثيرة، نتيجة ممارستهم الشاذة، خاصة الأمراض الفيروسية، ومما زاد الأمر تعقيداً أن الكثير من الطرق التشخيصية المعروفة، والتي يستعمل المصل فيها كمادة رئيسية، قد فقدت صلاحيتها للتشخيص عند مرضى الإيدز، نتيجة انهيار الجهاز المناعي وتلفه عندهم. وعلى أية حال، فإن الميكروب المسبب له لا بد وأن يكون إما من الفيروسات المعروفة سابقاً، أو فيروساً جديداً انطلق من عقاله، وظهر على الساحة البشرية ليفعل فعله بهم، في الزمان والمكان المناسبين.

كانت أصابع الاتهام، تشير إلى الفيروسات المعروفة، والتي تُحدث في كثير من الأحيان، آثاراً تشبه تلك التي تحصل لمرضى الإيدز، خاصة عند الزناة والشاذين جنسياً، والفيروسات المتهمة هي: (H.B.V)، و(C.M.V)، و(E.B.V)، وبعد البحث المستمر والتنقيب الحثيث في مختبرات العالم، ثبتت براءة هذه الفيروسات، كمسبب لهذا المرض المميت، لذا اتجهت أنظار العلماء ثانية، إلى الاحتمال الثاني، وهو ظهور فيروس جديد يسبب هذا المرض لم يكن معروفاً سابقاً.

هناك مجموعة فيروسات معروفة لدى العلماء، تسمى ريتروفايروسز (Retroviruses)، تعيش في الدم على الخلايا اللمفاوية، وتسبب سرطان الدم للإنسان والحيوان، والفيروسات التي تسبب سرطان الدم (اللوكيميا) معروفة منذ زمن بعيد، وهي نوعان: الأول يسمى (HTLV I)، وهو منتشر جنوب غرب اليابان، ومناطق البحر الكاريبي، والثاني يسمى (HTLV II)،

وهو نادر الوجود، ويسبب نوعاً من أنواع اللوكيميا النادرة جداً، وقد أجرى العلماء تجارب عديدة على هذه الفيروسات، فتبين لهم أنه لا علاقة لها بهذا المرض، وهي تعمل في جسم الإنسان بطريقة تختلف تماماً عما يحدث لمريض الإيدز وبالتالي تثبت براءتها أيضاً كمسبب لهذا المرض.

وأخيراً جاءت الثمرة التي طالما انتظرها العلماء، عندما أعلن عن اكتشاف فيروس جديد معروفاً سابقاً قط، وأنه هو المسبب المباشر للإيدز، وقد تم عزل هذا الفيروس في معهد باستور في فرنسا، على يد البرفسور "لوك مونتنييه"، وقد كان ذلك في أيار عام ١٩٨٣م، وسمي "الحمى المقترنة بالاعتلال العقدي اللمفي" (Lymphadenopathy associated virus LAV) وفي العام الذي تلاه، عزل فيروس من مرضى الإيدز في الولايات المتحدة الأمريكية من قبل الدكتور "روبرت غالوا" الذي يعمل في المعهد القومي للسرطان في ميرلاند وسمي "حمى الخلية التائية البشرية الموجهة اللمف نمط ٣" (Human T. cell Lymphotropic Virus HTLV III) وفي العام نفسه تقريباً تم عزل فيروس من مرضى الإيدز في سان فرانسيسكو من قبل مجموعة من الباحثات، برئاسة الدكتور "ليفى"، واسموه الفيروس المتعلق بالإيدز (Aids Related Virus). وقد ثبت أن هذه الفيروسات المذكورة هي نفس المسمى، رغم اختلاف التسميات، وهكذا فاز البروفسور الفرنسي "لوك مونتنييه" بشرف اكتشاف هذا الفيروس، ومن المحتمل أنه سينال على ذلك جائزة نوبل وحده، أو مشاركة مع العالم الأمريكي "روبرت غالوا".

وهذا الفيروس الذي أصبح يعرف بشكل عام باختصارات إنجليزية (HTLV III)، صغير جداً، بحيث لا يرى بالعين المجردة ولا بالمجهر

العادي، لكنه يرى بالمجهر الإلكتروني بعد تكبيره مئات الآلاف من المرات (صورة رقم ٣)، وهو من النوع الذي يحتوي على (RNA)، وفيه إنزيم يسمى (Reverse Transcriptase)، في حين لا يوجد في الفيروسات العادية أي نوع من أنواع الإنزيمات. وهذا الإنزيم، يساعده على التحول إلى الشكل الفعال الرئيسي له، وهو يحتوي على مادة الحياة الرئيسية (DNA). وعندما ينتقل هذا الفيروس للإنسان، يدخل دمه ويبحث مباشرة عن خلية المفضلة (T. Cell)، ويحط عليها كما حط أول قمر صناعي على سطح القمر، ثم يدخلها ويحتل نواتها ويستعمل كل مقدراتها وأجهزتها لصالحه، كما يتغذى ويتكاثر على حساب أجزائها، حتى إذا قوضها من الداخل، تمزق غشاؤها، وانطلق منه آلاف الفيروسات، ليحط كل واحد منها على خلية جديدة، ويمارس الدور نفسه، وهكذا ينتهي الأمر، بإتلاف الغالبية العظمى من خلايا جسم المصاب، وبذا يترتب عليه فقدان المناعة عنده.



صورة رقم (٣) فيروس الإيدز على سطح خلية تانية

ويعتقد العلماء^(١) أن فيروس الايدز، يحتوي على مادة تساعد على سرعة تكاثره، حيث أنه يتضاعف بسرعة فائقة تفوق سرعة تكاثر الفيروسات العادية بألف مرة، كما وجدوا^(٢) أن الملتر الواحد من دم مريض الإيدز يحتوي رغم وجود الأجسام المضادة- على (١٠٠,٠٠٠-١٠,٠٠٠) وحدة فيروس فعالة، وكل وحدة قادرة على إحداث هذا المرض إذا قدر لها أن تصل إلى دم إنسان جديد. كما يعتقد العلماء كذلك على ضوء ما تحصل لديهم من معرفة به إلى الآن، أن مئات الآلاف وربما الملايين من الناس هم من حملة فيروس هذا المرض، ففي أمريكا عرف لآن أكثر من مليون إنسان يحملون هذا الفيروس، بعضهم في الطور المتوسط للمرض، وبعضهم الآخر وصل به المرض إلى أقصاه، ومنهم من فارق الحياة، ولا أحد يعرف متى وكم من الزمن يحتاج هؤلاء، ليتحولوا من حاملين للفيروس إلى مصابين بمرض الإيدز. فتقترب نهايتهم، ويلاقون مصيرهم المحتوم.

ومن المعتقد أيضاً أن مدة الحضانة لهذا المرض طويلة جداً، حيث تتراوح بين ستة أشهر إلى ست سنوات، كما أنه لا يعرف إن كانت إصابة إنسان ما بهذا الفيروس وحده، كافية لإصابته بهذا المرض، أم أنه لا بد من وجود بعض العوامل المساعدة ليصاب به، كالخلل في جهاز المناعة الذي يحدث نتيجة التعرض المستمر للوسائل المنوي عن طريق الشرج (الواط)، أو نتيجة التعرض للإصابة بالأمراض الجنسية، خاصة تلك التي تسببها فيروسات مختلفة، أو نتيجة استعماله المواد الكيماوية المنشطة للجنس، التي

(١) هسلتاين من جامعة هارفرد (١٩٨٥).

(٢) د. جون سال. آب (١٩٨٥).

يستعين بها الشاذون جنسياً. ومهما يكن من أمر، فإن العلماء^(١) لا زالوا
حيارى في العديد من جوانب هذا المرض، فهم لا يجدون سبباً ولا تفسيراً
دقيقاً لاتطلاق هذا الفيروس من عقاله، وانتشاره بهذا الشكل السريع.

(١) د. فكتور مؤلف كتاب الإيدز ١٩٨٥.

الفصل الرابع طرق العدوى

طرق العدوى

رغم أن هذا المرض من الأمراض المعدية، إلا أنه ليس من السهل الإصابة به، إذ لا بد لذلك من وجود مواصفات معينة في المجتمعات التي ينتشر فيها، بالإضافة إلى توافر طرق محددة للانتقال بواسطتها. ومواصفات هذه المجتمعات، أنها في الأعم الأغلب مجتمعات أدمنت أو ألفت الشذوذ بشتى صورته وألوانه، وبالتالي فقد حمى الله سبحانه وتعالى، المجتمعات المحافظة من الإصابة به، وذلك لخلوها من الطرق التي ينتقل بواسطتها فيروس هذا المرض. وإذا حدث وأصيب الإنسان بهذا الفيروس فإنه يبقى معدياً لغيره طوال حياته، أما الوسائل والطرق الرئيسية لانتقال فيروس الإيدز فهي:

أولاً: السائل المنوي:

إن السائل المنوي لمريض الإيدز مليء جداً بهذا الفيروس، حيث يحتوي الملتر الواحد منه على ما يزيد على مليون وحدة فيروس، فإذا وصلت أية كمية منه إلى إنسان آخر، فإنه يصبح فريسة سهلة له. إذ أن وصول فيروس واحد منه إلى دمه، كفيلاً أن يسبب له الإصابة به. ويتم انتقال السائل المنوي من شخص إلى آخر بإحدى الطرق التالية:

١. الشذوذ الجنسي (اللواط): ويعتبر أوسع الطرق لانتشار مرض الإيدز، إذ بلغت نسبة الذين أصيبوا به عن هذا الطريق ٧٣% من مجموع حالات الإيدز التي اكتشفت حتى الآن، لذلك أطلقوا عليه مجازاً "طاعون الشاذين".

٢. الزنا والإباحية: وهذه تشكل إحدى قنوات انتشار الإيدز، فبواسطتها تتم عملية انتقال السائل المنوي من المصاب إلى السليم، والزاني لا يرتوي،

بل يشرب الكأس حتى الشماله، فيمارس الجنس كلما تيسر له، وهذا يضاعف من احتمالية الإصابة به، وقد بلغت نسبة الإصابات به عن هذا الطريق ٣-٥% من حالات الإيدز المعروفة.

٣. التلقيح الصناعي: وهو نقل السائل المنوي من الرجل إلى رحم الأنثى بقصد الإنجاب، فإذا كان الرجل مصاباً بالإيدز، فإن الأنثى وجنينها يصابان بهذا المرض، وقد سجلت أربع حالات بهذا المرض لنساء أخذن السائل المنوي عن هذا الطريق.

ثانياً: الحقن الوريدية الملوثة:

للمخدرات عدة أنواع وتسميات، وتتفاوت آثارها وطرق تناولها، فمنها المسكن والمنبئة، ومنها الطبيعي والكيمياوي، ومنها ما يؤخذ بواسطة الفم ومنها ما يؤخذ بواسطة الحقن الوريدية، وقد أجمعت الدول على تحريم زراعتها وصناعتها وتداولها، لذلك فهي مرتفعة الثمن، ولذلك يقتسم الشباب كلفة شرائها وتناولها، كما هو الحال في الهرويين مثلاً، حيث يجتمعون على شكل حلقة، يستعملون حقنة واحدة منه بالتناوب، فيحقن الأول نفسه بها بالوريد ليأخذ نصيبه من الهرويين ثم يدفعها للثاني فالثالث فالرابع وهكذا، فإن كان أحدهم مصاباً بمرض الإيدز، أو حاملاً لفيروس المرض، فإن العديد من فيروساته تنتقل بواسطة الإبرة الذي يليه، فالذي يليه، حتى تصاب الحلقة جميعها به، وتبدأ العملية عادة بجرعة صغيرة تحدث أثراً على الجهاز العصبي، وما أن يعتادها حتى لا تعود تكفي لإحداث الأثر نفسه، فيضطر إلى تناول جرعة أكبر، حتى يحصل على الأثر السابق، فينتهي به الأمر إلى الإدمان. وتدل الإحصائيات المنشورة على أن الإدمان مسؤول عن ١٧% من حالات الإيدز المعروفة إلى الآن.

هذه هي الطرق الرئيسية التي ينتقل بواسطتها هذا الفيروس، فتسبب الغالبية العظمى من الإصابات أما النسبة الباقية من المرضى، فينتقل إليهم بوسائط تنم عن تخلف في التثقيف الصحي، أو تقصير من السلطات الصحية مثل:

- استعمال الإبرة الواحدة مراراً لعدة مرضى مختلفين عند إعطائهم علاجاً، أو سحب دم منهم.
- إعطاء دم ملوث بفيروس هذا المرض لإنسان سليم.
- استعمال مشتقات الدم الملوثة كعلاج، كما يحدث لمرضى الناعور (الهيموفيليا).
- انتقال المرض من الأم المصابة لجنينها بواسطة الدم، أو بواسطة الحليب بعد الولادة.
- هناك احتمال ضعيف جداً لانتقاله عن طريق التقبيل، أي مع اللعاب، واحتمال أقل، أن يكون للبعوض – في الدول الإفريقية – دور في نقل هذا المرض من المصاب إلى السليم.

كل هذه الاحتمالات، يمكن التخلص منها أو تجنبها، بمزيد من الوعي الصحي واستعمال الوسائل التشخيصية المتاحة، ونسبة الذين أصيبوا بهذا المرض، عن هذه الطرق، لم يتجاوز ٥-٦% من مجموع مرضى الإيدز في العالم. والمصيبة، لا تكمن بالإصابة عن هذه الطرق، وإنما تكمن في الطريقتين الأوليين، وهما الشذوذ الجنسي وإدمان المخدرات، حيث يشكلان ٩٢-٩٥% من مجموع حالات الإيدز التي تم تشخيصها حتى الآن. أما ما يشاع عن دور الملابس المستعملة في نقل هذا المرض، أو المصافحة أو تلوث الطعام أو الشراب فلا أساس له من الصحة، وقد أكدت ذلك وزارة الصحة الأمريكية في

تقريرها الذي نشرته في نيويورك في تشرين الثاني ١٩٨٥، إذ قالت: "إن فيروس الإيدز لا ينتقل بالهواء والطعام والماء، والملازمة الطويلة الخالية من الاتصال الجنسي، والسعال والعتاس، أو المصافحة والفراش والملابس والحمام، ولا مشاركة المريض المأكل والمشرب أو الجلوس في نفس المكتب أو المدرسة". ولعل لهذه الشائعات أغراضاً منها: أن لا يظهر الشذوذ كمسبب رئيسي ووحيد لنقل المرض، بل يشيعون أن هناك وسائط أخرى تنقل المرض، وبالتالي تخف النقمة، وتختلف النظرة إلى الشاذين والشذوذ، وهذا الغرض يروج له الشاذون ومن يشجعون الرذيلة والانحراف، ومنها أيضاً، ربما يكون لأغراض تجارية، بهدف العزوف عن شراء الملابس المستعملة، وقد حدث في هون كونج^(١) أن أشيع بان البعوض هو المسبب الرئيسي في نقل الإيدز، فزادت مبيعات مبيدات البعوض عشرات الأضعاف.

(١) كتاب وباء الإيدز (١٩٨٤) لمؤلفه الدكتور كيفن.

الفصل الخامس

الإصابة بفيروس الإيدز

الإصابة بفيروس الإيدز

لا يمكن لأحد أن يعرف بالتحديد متى أصيب المريض بفيروس الإيدز، وذلك، راجع لأمر عديدة: منها أن مدة الحضانة طويلة جداً، إذ تتراوح من ستة أشهر إلى ست سنوات، وخلالها يصعب أن يكتشف أمر المريض، إذ أنه في الأعم الأغلب، لا يعاني من شيء ظاهري يحسه أو يشعر به، فنسبة قليلة جداً منهم، تظهر عليهم بعض العلامات، وبعضهم الآخر لا تظهر عليهم أبداً، وهكذا فالقسم الأكبر من الناس يحملون فيروس هذا المرض، دونما علامات ظاهرة، وقليل منهم من يشتكي من علامات خفيفة، وأقل منهم بكثير، من تظهر عليه علامات المرض بوضوح، وقد تجاوز هؤلاء خمسة عشر ألفاً، مات أكثر من نصفهم، وينتظر الباقيون أيامهم الأخيرة.

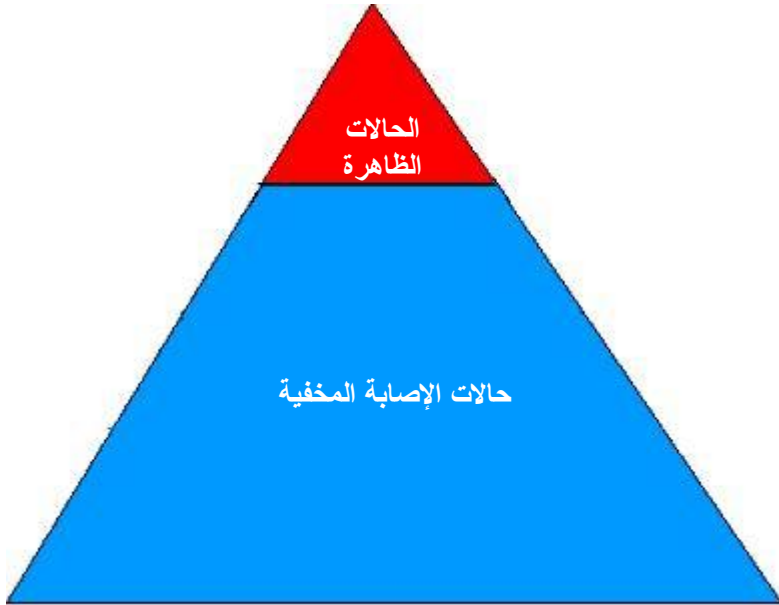
ويُشبه علماء الغرب ذلك بجبل كبير جداً من الثلج، تطفو قمته – وهي جزء بسيط جداً منه – على سطح الماء في حين يغمر الماء الجزء الأعظم من جسمه كما في الصورة رقم (٤). وبما أن كل من يحمل فيروس المرض، هو معدٍ طوال حياته، فإن الواجب يقتضي معرفة هؤلاء، ليجنب الأبرياء شرورهم، لذا لا بد من تطوير طرق تشخيصية لاكتشاف المرض في وقت مبكر، وقد طورت فعلاً بعض الطرق، إلا أن كل واحدة منها لا تخلو من بعض السلبيات، منها عزل الفيروس من المصاب مباشرة، ومع أن هذه الطريقة متقدمة ودقيقة، إلا أنها باهظة التكاليف، ولا يمكن تعميمها، ومنها أيضاً الفحوصات المصلية، أي بكشف الأجسام المضادة الخاصة ضد فيروس هذا المرض، وهذه الطريقة سهلة، ويمكن إجراؤها بأساليب متعددة، وهي مستعملة بشكل كبير في الولايات المتحدة وبريطانيا وكثير من دول أوروبا،

ولكنها لا تخلو من سيئات، تتلخص بالحساسية العالية التي تتمتع بها، وهذه رغم حسناتها، إلا أن احتمالية حصول إيجابية كاذبة (False Positive) وارد جداً، كما أن طول مدة الحضانة للمرض ربما تؤدي إلى حدوث سلبية كاذبة، إذا أخذت العينة خلال هذه المدة، ولعدم وجود البديل الأفضل، فلا بد من استعمال هذه الطرق حتى يتوفر الأفضل. وقد استعملت هذه الطريقة في أمريكا، وشخص بواسطتها آلاف الحالات المرضية، ومئات الآلاف من حملة الفيروس، وقد أصبح من الأمور الرتيبة (الروتينية) عندهم اعتباراً من أيار ١٩٨٥، فحص كل وحدة دم، لإثبات خلوها قبل استعمالها، وقد ذكر أن عدد حاملي هذا الفيروس الذين تم اكتشافهم عن هذه الطريقة قد زاد على المليون إنسان في الولايات المتحدة، وهناك الآن ٢,١ مليون جندي أمريكي قيد الفحص.

وقد أصدرت منظمة الصحة العالمية في دوريتها الأسبوعية الخاصة بالإيدز، بتاريخ ١/٢٥/١٩٨٥، مجموعة من التعليمات لاتباعها عند التعامل مع كل من تظهر في دمه أجسام مضادة خاصة بفيروس الإيدز، وهي تعني في الغالبية العظمى، الإصابة بهذا الفيروس وهي:

- بالرغم من أن نهاية المصاب غير معروفة على وجه التحديد، إلا أنه يبقى معدياً طوال حياته.
- وبالرغم من عدم وجود علاجات سريرية، فلا بد من فحص المريض ومراقبته جيداً، وخاصة عند ظهور أول علامة من علامات هذا المرض.
- يجب منع المصابين به من التبرع بالدم، أو البلازما أو الأعضاء أو الحيوانات المنوية منعاً باتاً.

- منع الآخرين من مشاركتهم جنسياً، أو استعمال نفس الإبرة أو التعرض للعابهم خشية العدوى.
- عدم استعمال حاجاتهم الشخصية، مثل فرشاة الأسنان أو شفرة الحلاقة أو أي شيء يمكن أن يتلوث بدمهم.
- منع زوجاتهم من الحمل، تجنباً لإصابتهن وإصابة ما يحملن في أرحامهن.
- يحب غسل الأماكن التي تلوثت بدمائهم غسلًا كاملاً، وتطهيرها بالمطهرات، إذا حصل للمصاب نزيف دموي.
- على المصابين إعلام أطبائهم وخاصة أطباء الأسنان، أنهم مصابون بهذا الفيروس، لأخذ الاحتياطات اللازمة.



صورة رقم (٤) توزيع طبقي لحالات الإيدز الظاهرة والإصابات الخفية

الفصل السادس

أطوار المرض وأعراض

أطوار المرض وأعراضه

يُصنف العلماء أطوار المرض، على أساس ما يظهر على المصابين به من علامات إلى ما يسمى قبل الإيدز (Pre Aids)^(١)، وإيدز بسيط (Minor Aids)، والطور المتوسط، والإيدز (المرض بصورته الكاملة)، وصنفه آخرون بطرق أخرى^(٢) فذكروا: تضخم الغدد اللمفاوية الذي يبقى لمدة طويلة، تصل إلى أكثر من عامين (PGL)، ومجموعة الأعراض المتعلقة بالإيدز (AIDS Related Complex) ومرض الإيدز كاملاً.

ومهما يكن من أمر، فإن فيروس الإيدز عندما يستفحل في جسم المريض، يسبب له تلفاً في جهاز المناعة، إذ تنهار لديه الوسائل الدفاعية التي استودعها الله جسمه، لتدفع عنه الجراثيم التي تُهاجمه، فإذا ما انهارت، وقع فريسة سهلة لكل الجراثيم، فيصاب بالعديد من الأمراض التي تؤدي بحياته.

ولمعرفة كيف يحصل انهيار المناعة في جسم المصاب، لا بد من ذكر أن هناك ذراعين للمناعة في الجسم، يتم كل واحد منهما الآخر، وأن هناك نوعين رئيسيين من الخلايا اللمفاوية، نوعاً يتبع الذراع الأيمن، وهي خلايا (T. Cells)، وتسمى الخلايا التانية، ونوعاً يتبع الذراع الأيسر، وهي خلايا (B. Cells)، وتسمى الخلايا البائية.

فأما الخلايا التانية (T. Cells)، فهي عدة أنواع، لكل منها وظيفته الخاصة، ويهمنها هنا نوعان.

(١) الدكتور ابسن: ١٩٨٤م.

(٢) الدكتور دفايتا، ١٩٨٥م.

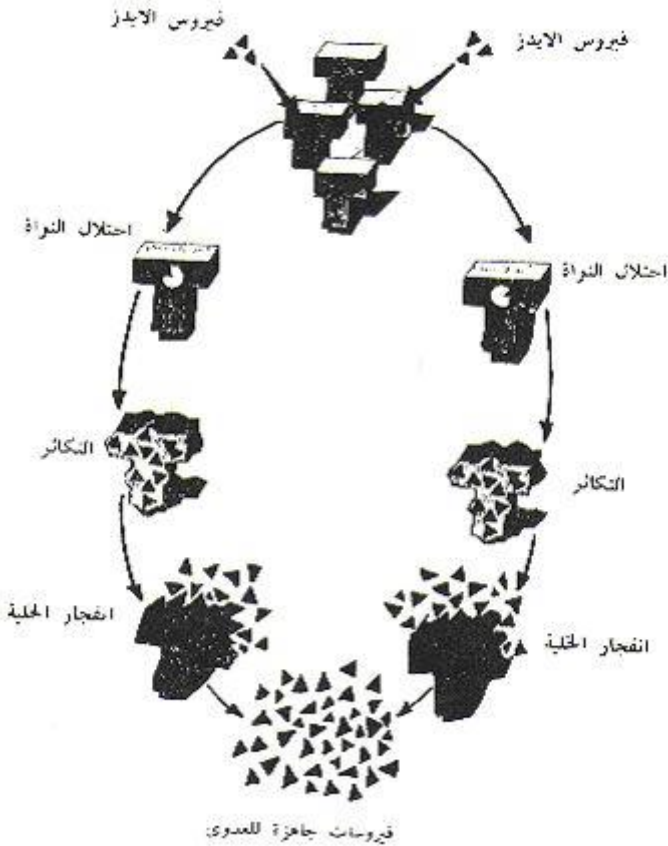
• الخلايا التائية المنشطة (T. Helper Cells)، التي من وظائفها تنشيط ومساعدة الخلايا البائية (B. Cells)، التي تنتج بأمر منها أجساماً مضادة تتولى الفتك بالميكروبات المهاجمة.

• الخلايا التائية المقيدة (T. Suppressor Cells)، وهي التي تضع حداً للنشاط الزائد عن الحاجة، الذي يقوم به جهاز المناعة في بعض الأحيان، وتكون نسبة الخلايا التائية المنشطة إلى الخلايا التائية المقيدة (٢-١) أي الضعف في الأحوال الطبيعية للجسم.

وأما الخلايا البائية (B. Cells)، فهي مختصة بشكل رئيسي، بصناعة الأجسام المضادة في الجسم، وهي عبارة عن قذائف خاصة لقتل الميكروبات المهاجمة، وهذه الخلايا تعمل عادة بأمر من الخلايا التائية المنشطة، وتمتاز بذاكرة قوية، حيث أنها تقوم بصناعة الأجسام المضادة، ساعة تعرض الجسم للغزو مرة ثانية من قبل نفس الميكروب، وعندما تحاصر هذه الأجسام المضادة أهدافها (الميكروبات المهاجمة) وتتلفها، يأتي نوع آخر من الخلايا، ليبتلع كل الضحايا التي سقطت في المعركة (الجسم المضاد والميكروب المهاجم)، وينظف الميدان منها تماماً.

والذي يحدث عند مريض الإيدز، أن فيروس هذا المرض يغزو الخلايا التائية المنشطة، ويسيطر عليها، ويستعملها لصالحه، ويتضاعف داخلها، لينتهي به الأمر إلى تفجيرها، والانطلاق من داخلها بأعداد هائلة، ليمارس كل فيروس منها الدور نفسه مع خلية جديدة (أنظر الصورة رقم ٥)، وبهذا يقل عدد الخلايا المنشطة إلى حد كبير، فتعكس النسبة، وتصبح الخلايا المقيدة، ضعف الخلايا المنشطة، وهذا يعني وجود نقص حاد في الخلايا المنشطة، فينعكس ذلك سلباً على الخلايا البائية المكلفة بصناعة الأجسام

المضادة، كما أن نقص الخلايا المنشطة، يضعف مقدرة جميع الخلايا ذات العلاقة بالمناعة عن الأداء، فيقل تبعاً لذلك إنتاج، ما يسمى لمفوكاينز (Lymphokines)، التي تساعد الخلايا البيضاء على النمو، والقيام بواجباتها.



صورة رقم (٥) تكاثر فيروس الإيدز داخل الخلايا التائية

والعجز الذي يظهر على جهاز المناعة عند المصاب به، على هذه الصورة الخطيرة، ينبى بان التلف لم يقف عند الخلايا الثانية فحسب، بل تعداه إلى الخلايا البائية، وكما يذكر الدكتور "فكتور" في كتابه عن الإيدز (١٩٨٥) أن ذلك يعني، أن الفيروس بدأ يغزو ويتلف الخلايا البائية أيضاً. وخلال حصول هذه التطورات، يصاب المريض بإنتانات وأعراض كثيرة، تكون بسيطة في البداية، كالحمى والتعرق وآلام المفاصل والتهاب الحلق والطفح الجلدي، ثم تتطور وتتعدد ويأخذ المريض بالشكوى من:

- إنهاك عام شديد، يستمر عدة أسابيع، دونما سبب معروف.
- تضخم في الغدد اللمفاوية، خاصة عند الرقبة والإبط وأصل الفخذ، وهذا ربما يمتد إلى مدة طويلة، قد تصل إلى عامين فأكثر.
- نقص شديد في الوزن، ربما يصل ١٠-٥ كغم خلال شهرين.
- ارتفاع درجة الحرارة، دون سبب معروف، ودون تجاوب مع العلاج.
- صعوبة، وقصر في النفس، كما هي الحال في اللهاث، مع سعال جاف لعدة أسابيع.
- طفح جلدي، وتقرحات بسيطة، والتهابات عند أصول الشعر، وأحياناً التهابات فطرية على الجلد.
- التهابات فطرية في الفم والحلق.
- إسهالات شديدة ومزمنة، ربما يفقد بسببها المريض ١٥-٢٠ لترأ من سوائل جسمه يومياً.
- إصابة الجهاز العصبي المركزي، وظهور خدر عام، واكتئاب مع تلف الأعصاب الرئيسية، بفعل فيروس المرض، أو جراثيم الإنتانات الانتهازية.

• ظهور الإنتانات الانتهازية التي ربما تكون السبب المباشر للموت، والتي تسببها، إما طفليات أو فيروسات أو فطريات أو بكتريا (سنعرض لكل منها لاحقاً).

• ظهور السرطانات الجلدية، مثل كابوسي ساركوما، وسرطانات العقد والأنسجة اللفاوية.

هذه بعض الأعراض والعلامات السريرية التي تظهر على مريض الإيدز، أما الأعراض التي يمكن أن يكشفها التشخيص المخبري في المريض فهي:

- نقص حاد في عدد الخلايا اللفاوية.
- نقص في الصفائح الدموية.
- فقر في الدم.
- نقص حاد في الخلايا التائية المنشطة.
- نقص في مقدرة الخلايا التائية المختلفة، على القيام بواجباتها الدفاعية.
- عدم اتزان في تكاثر الخلايا البائية (B. Cells)، وزيادة غير مقيدة في صناعتها للأجسام المضادة.
- وجود الفيروس، أو على الأقل الأجسام المضادة الخاصة بالإيدز في دم المريض.

عندما يصل المريض إلى هذا الحد من فقدان المناعة، يُصبح مستضعفاً، تتكالب عليه الجراثيم الانتهازية، التي لا تسبب أمراضاً مميتة في الأحوال العادية، ولكنها مع غياب وتلف جهاز المناعة عند المصاب، تفعل كل ذلك، وربما تكون السبب المباشر في القضاء عليه.

الفصل السابع

الإنتانات الانتهازية

- الإنتانات الطفيلية
- الإنتانات البكتيرية
- الإنتانات الفطرية
- الإنتانات الفيروسية

الإنتانات الانتهازية

تمهيد

عندما تدخل الميكروبات جسماً سليماً، تتصدى لها الدفاعات الطبيعية فيه لتحميه منها، فتنشب معركة بينهما، وغالباً ما يقوى الجسم عليها، ويخرج من المعركة سليماً، ولكن عندما تنهار المناعة في الجسم، كما هي الحال عند مريض الإيدز، تفقد الدفاعات الطبيعية قدرتها على العمل، فيستسلم الجسم، تاركاً لهذه الجراثيم أن تعيث فيه فساداً. ولا يستسلم الجسم للجراثيم الرئيسية للمرض فحسب، بل ويستسلم أيضاً للجراثيم البسيطة، التي لا يُحسب لها في العادة أدنى حساب، ولا تسبب أمراضاً مميتة، ولكنها مع ضعفها ذكية جداً، إذ عرفت كيف تستغل الفرصة، فانتهزت تلف جهاز المناعة عند المريض، وانقضت عليه، لذا سميت بالجراثيم الانتهازية، كما سميت الالتهابات التي تسببها، بالإنتانات الانتهازية.

والجراثيم الانتهازية ربما تصيب إنساناً من غير مرضى الإيدز، لكنها في الأعم الأغلب لا تقتله، في حين أنها تستأسد على مريض الإيدز، وتسبب له أمراضاً تُنهى حياته، وهذه الأمراض عديدة جداً، منها الطفيلي والفيروسى، هذا عدا عن السرطانات التي تظهر على جلد المريض، أو في أجهزة جسمه الأخرى.

وقد ذكر الدكتور "هنري" وزملاؤه، في المعهد القومي للصحة في ميرلاند، أن كل مريض بالإيدز، يُصاب بواحد أو أكثر من هذه الإنتانات الانتهازية، ثم لا تطول حياته فيموت، إما بسبب عدم وجود علاج شاف للإنتان الانتهازى الذي أصيب به، أو أن جرثومة هذا المرض، لم تعد تتأثر

بالأدوية المعروفة، بالإضافة إلى غياب المساعدة الكبيرة التي يقوم بها جهاز المناعة في العادة، ومع أن للسرطان تأثيراً كبيراً على جسم المريض بالإيدز، إلا أن أسباب الموت المباشرة له، غالباً ما تكون بسبب الإنتانات الانتهازية. وبما أنه لا يوجد علاج لإعادة بناء ما تم نقله من جهاز المناعة، ولا حماية الإنسان مما يحيط به من الجراثيم الكثيرة، التي تسبب له الإنتانات الانتهازية، فإن طبيعة الأمراض وآمها قبل الموت لها علاقة بمقدرة الطبيب الإرشادية والعلاجية.

ويذكر الدكتور "فيكتور" في كتابه عن الإيدز (١٩٨٥م)، أن معدل حياة مريض الإيدز المصاب بأحد الإنتانات الانتهازية، حوالي ثمانية أشهر فقط، وربما تكون أقصر إذا اجتمع معها أورام سرطانية في مريض الإيدز. الإنتانات الانتهازية كثيرة جداً، وتسببها مجموعة كبيرة من الجراثيم المختلفة، التي لا يربطها شبه إلا صفة الانتهازية، وسنعرض لتعريف بسيط بها، تاركين تفصيلاتها لكتب الطلب المتخصصة، وهي:

الإنتانات الطفيلية:

إن السبب المباشر لأكثر الذين يموتون بمرض الإيدز هو إصابتهم بإنتانات طفيلية، والملفت للنظر أن الولايات المتحدة الأمريكية رغم أنها قد انتهت من مشكلة الطفيليات منذ سنين طويلة، إلا أنها عادت تعاني منها من جديد، في ظل التقدم العلمي، بسبب انحدارها الأخلاقي الذي أثمر لها الإيدز وأمثاله، ومن هذه الإنتانات الطفيلية ما يلي:

١- التهاب الرئة الحاد (P.C.P):

يسببه طفيل صغير جداً، لا يتعدى حجمه (١-٢) ميكرون، يسمى نيومستس كاريني (Pneumocystis Carinii)، اكتشفه العالم شاقاس)

Chagas) قبل حوالي ٧٧ سنة، وأول إصابة به كانت عام ١٩٣٠م ثم ازدادت الإصابات به في الحرب العالمية الثانية، ويذكر الدكتور "هنري" من معهد الصحة القومي في ميرلاند، أن حوالي ٧٠% من مرضى الإيدز أصيبوا بهذا الالتهاب، ومات أغلبهم منه، والقسم الأكبر منهم، أمضى نصف المدة الواقعة بين التشخيص والموت داخل المستشفى، رغم توفر العلاجات القاتلة لهذا الطفيل، ويذكر الدكتور "كيفن" أن ٢٥% من الذين أشرف على علاجهم بهذا الالتهاب، كانوا يعانون من هجمات حادة، لا تتركهم طويلاً حتى يفارقوا الحياة، بسبب الخلل الحاد في عملية التنفس.

لا يعرف المريض متى بدأ معه هذا المرض، لكنه يشعر بسعال جاف دون بلغم، مع بعض الآلام في الصدر، تمتد أحياناً من أسبوعين إلى عشرة أسابيع، وكذلك تعب وقصر في النفس (التهث). وتشخيص هذا المرض ليس سهلاً، لكن العلامات السريرية، والصور الشعاعية للصدر، واستعمال بعض الفحوصات المخبرية، بصيغ وفحص الخزعة الرئوية، تساعد على معرفة وتشخيص هذا المرض.

وبالرغم من وجود العلاجات لهذا المرض، إلا أن مريض الإيدز، يظهر عليه بالإضافة إلى أعراضه، طفح جلدي يملأ جسده، نتيجة علاج هذا الطفيل، كما يصاب ٥٠% منهم بخلل في وظائف الكلى، وبعض الدمامل في أماكن أخذ الحقن في المقعدة.

٢- كريبتوسبوردياسيس (Cryptosporidiasis):

ظهرت مشكلة جديدة مع الإيدز، تتمثل بهجوم طفيل صغير، من نوع كوكسيديا (Coccidia) يسبب إسهالاً شديداً ومزماً، ولم يعرف هذا الطفيل سابقاً بهذه الصفات، كما لم تعرف قدرته إلا قبل سنوات فقط، حيث عُرف أنه

يسبب إسهالات لبعض الطيور والزواحف والحيوانات كالدبك الرومي والأفاعي والخزاف، وهناك شبه كبير بين أعراض هذا المرض، وأعراض مرض الكوليرا، حيث الإسهال الحاد الذي ربما يُفقد المريض حوالي ١٢-١٥ لتراً من السوائل يومياً، وقد ذكر الدكتور "كيفن" عن حالة من الإيدز، كان يُشرف على علاجها أن حوالي ٢٠ لتراً من السوائل كان يفقدها المريض يومياً.

وتشخيص هذا المرض عند المصابين بالإيدز، يتم عن طريق فحص البراز، للتأكد من وجود هذا الطفيل، الذي يظهر عادة في أكياس صغيرة (٣-٦) ميكرون، وقد جربت عليه علاجات كثيرة جداً دون جدوى، ولا يعرف له علاج شاف حتى الآن.

٣- تكسوبلازموسس (Toxoplasmosis) ^(١):

مرض يسببه طفيل صغير الحجم، منتشر بشكل كبير عند الحيوانات، خاصة القطط التي تلوث الكثير مما يستعمله الإنسان، وإصابة الإنسان به، لها عدة أشكال، والغالبية لا تظهر عليه أية علامات سريرية، وأحياناً كثيرة، يبدأ المرض وينتهي دون أن يكتشف أمره، وهذا الطفيل يفعل الكثير، حالما يحس أو يشعر بأي تغيير سلبي في جهاز المناعة عند المصاب.

أما دوره عند مريض الإيدز، فهو أسوأ بكثير من دوره عند المريض العادي، فهو يصل إلى الجهاز العصبي الرئيسي، ويتلف أغشية الدماغ، ويحدث دماغ في الدماغ نفسه، ويظهر بشكل مؤذٍ جداً، حيث يحار الطبيب

^(١) لا بد من التنبيه هنا إلى أن سير مرض تكسوبلازموسس عند غير مريض الإيدز يختلف تماماً عن سيره عند مريض الإيدز، فآثاره عندهم بسيطة إذا ما قورنت بآثاره عند مريض الإيدز. فهو ربما يمر عندهم دون إحداث أثر يُذكر، وربما يسبب بعض الإجهاضات عند النساء أو بعض التشوهات عند الأطفال الذين يصابون به خلال فترة الحمل من أمهاتهم.

من أين وكيف يبدأ مع مريض الإيدز الذي يحل به بهذه الصورة، وهذه الدرجة من الإصابة مميته بلاشك، ورغم توفر العلاجات لقتل هذا الطفيل، إلا أن استعمالها يحتاج إلى مدة طويلة، والأهم من ذلك أن مريض الإيدز لا تُشخص إصابته بهذا الطفيل، إلا بعد أن يكون المرض قد أخذ منه كل مأخذ، ووصل حالة يصعب معها شفاؤه.

٤ - الدزنتاريا الأميبية (Amoebiasis):

الإسهال، وآلام البطن، والزيادة المؤذية في غازات المعدة، كلها شكوى عامة ومنتشرة في مجتمع الشاذين في نيويورك وغيرها، ومنذ عقد تقريباً بدأت الزيادة واضحة جداً، في عدد المرضى الذين يعانون من الدزنتاريا الأميبية، حتى أصبحت منطقة مانهاتن في نيويورك، تعرف طبيياً كبؤرة لمرضى الطفيليات المنتشرة في المناطق الحارة كأفريقيا والهند، لأن الطفيل المسبب لهذا المرض (انتاميبا هستولانتিকা)، يُعزل بشكل كبير في تلك المنطقة، من براز الشاذين، والمصابين بالإيدز، هذا الطفيل يُتلف كثيراً في الأمعاء، وربما يصل إلى الكبد، ويحدث تلفاً كبيراً فيه، ورغم سهولة التشخيص، وتوفر العلاج في كل مكان، إلا أن هذا لم يشفع لمرضى الإيدز، من النهاية المشؤومة.

٥ - جاردياسيس (Giardiasis):

مرض يسببه طفيل مجهري بسيط جداً، يصيب الكثيرين من الناس، ويشاركهم غذاءهم، ويزداد أثره السلبي كلما طال مدة الإصابة به، وله مسار أصعب وأكثر ايذاءً عند مرضى الإيدز، حيث يسبب لهم الإسهال والغازات، وآلام البطن. يتم تشخيصه عن طريق فحص البراز، وعلاجه متوفر، إلا أنه يستأسد على مرضى الإيدز.

الإلتانات البكتيرية:

سُجّلت إصابات عديدة للإلتانات البكتيرية عند مرضى الإيدز، وقد سببتها بكتيريا ذات أنواع مختلفة، فهناك حالات وجدت فيها جراثيم السالمونيلا، عزلت من دم المريض، وسببت له إسهالات شديدة، أدت إلى تدهور صحته، وهناك حالات عديدة عزلت منها أصناف كثيرة من البكتيريا التي تنقض على الجسم عند تلف جهاز المناعة، وتسبب له أمراضاً مختلفة، منها جرثومة الشيقيلا، التي تسبب الدزنتاريا، ومنها جرثومة ليجونيلا التي تسبب التهاب الرنتين، وجرثومة كمبايلوباكت التي تسبب اضطرابات في البطن، ولكن أهم هذه الجراثيم على الإطلاق هي جرثومة السل وأشباهاها.

وهي جرثومة عصوية من نوع خاص، *Mycobacterium aviumintracellulare* تعيش في الطبيعة، وقلما تصل للإنسان لتسببه بأذى، ولكنها استأسدت عليه عندما ظهر الإيدز، حيث أصابت ٢٠% من مرضاه، وعندما تدخل جسم المصاب به، تصل إلى أي مكان فيه، لذا فهي توجد في الدم ونخاع العظم والعقد اللمفاوية، وتسبب تلفاً حيثما حلت، وهذه الجرثومة تنتشر سريعاً في جسم المصاب به، ولا تستجيب للعلاج، وقد ذكر أنها قضت على ٢٠% من المرضى الذين أصيبوا بالإيدز.

وهناك جرثومة السل الرئيسية، التي أصابت أعداداً كبيرة من الناس، خاصة قي هايتي وأفريقيا، حيث الفقر والجهل وسوء التغذية، بالإضافة إلى بعض العادات غير الصحية، وربما كانت هذه الإصابات كامنة عندهم إلا أنها استيقظت ونشطت حال الإصابة بالإيدز لتفتك بالمريض، ورغم سهولة تشخيصها، وتوفر العلاج اللازم لها والذي يمتد لمدة طويلة، إلا أن

المرضى غالباً ما يصابون بإنتانات إنتهازية أخرى إلى جانبها تساعد في
سرعة القضاء على المريض.

الإنتانات الفطرية

هناك فطريات كثيرة ومتعددة الأنواع، منتشرة في الطبيعة، والقسم الأكبر منها لا يسبب للإنسان أمراضاً قاتلة في الأحوال العادية، ولكن الصورة تتغير كلياً عند مريض الإيدز، حيث تقوى هذه الفطريات، وتسبب له الكثير من الالتهابات، ورغم كثرتها فإننا سنكتفي منها بمثالين فقط.

١ - كانددياسيس (Candidiasis):

يسببه نوع من أنواع الفطريات يسمى (*Candidia albicans*)، وهو بيضوي الشكل، صغير الحجم (٣-٦ ميكرون)، يهوى العيش في الأوساط الرطبة، وهناك إصابات عديدة به، تحصل نتيجة الاتصالات الجنسية، وفي مرضى الإيدز، أكثر ما تظهر الإصابة في منطقة الفم والحلق (انظر الصورة رقم ٦)،



صورة رقم (٦) مريض بالإيدز أصيب بانتانات فطرية في حلقه

وفي كثير من الحالات، تكون مصاحبة لسرطان كابوسي، كما تظهر أيضاً في منطقة الشرج داخل المستقيم، فتسبب آلاماً حادة عند الإخراج مع ظهور سائل متقيح، والتهابات الأغشية المخاطية التي يسببها هذا الفطر، لها علاجات فعالة ومتوفرة، لكنها ما تكاد تنتهي حتى تعود أقوى مما كانت عليه قبل العلاج، وحتى يتجنب مريض الإيدز آلام الالتهابات التي تسببها هذه الفطريات، لا بد له من الاستمرار في تناول العلاجات اللازمة لها ما دام على قيد الحياة.

٢- كربتو كوكس (Crypto cocus neoformons):

فطر صغير لا يرى بالعين المجردة، له أشكال غريبة منها البيضوي، ومنها غير ذلك، يسبب للمريض التهابات أغشية الدماغ، فيشعر المريض بالحرارة والصداع والرغبة في التقيؤ، وهو ينتشر في جسم مريض الإيدز، انتشاراً سريعاً بواسطة الدم، ويمكن عزله من الدم والنخاع الشوكي، وله طريقة مخبرية خاصة لتشخيصه بسهولة، ورغم سهولة تشخيصه وسهولة علاجه، الذي يمتد من (٣-٦) أشهر، ومع توفر الأدوية المناسبة له، إلا أن المريض يصاب به أكثر من مرة، ويزداد وضع المريض خطورة، عندما يرافق ذلك الإصابة بمرض انتهازي آخر، فيتساعدان معاً للقضاء عليه، وقد ذكر الدكتور "كيفن" في الولايات المتحدة، أنه عالج مريضاً بالإيدز كان يعمل موسيقاراً، وكان يشعر بالحمى ونقص الوزن، وتضخم الغدد اللمفاوية، والإنهاك العام والسعال، وبعد العديد من الفحوصات تبين أنه يعاني من هذا الفطر، وما كادت علامات الشفاء تظهر عليه حتى ظهرت علامات التهاب الرئتين (PCP) تدريجياً مسببة له الموت، وبعد التشريح وجد أنه كان مصاباً أيضاً بجرثومة شبيهة بجرثومة السل.

الانتانات الفيروسية:

الانتانات الانتهازية الفيروسية التي تصيب مريض الإيدز كثيرة جداً، ولكثرتها مع المرضى كانت أصابع الاتهام تشير إليها كمسبب رئيسي له، إلا أنه قد ثبتت براءتها باكتشاف الفيروس المسبب للإيدز (HTLV III)، وهذه الانتانات عديدة سنذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر وهي:

١ - الحمى الخلوية (C.M.V)

ويسببها فيروس يسمى (C.M.V)، ويعتقد العلماء، أن كل مريض بالإيدز عنده أجسام مضادة لهذا الفيروس، ووجود هذه الأجسام المضادة عنده، يعني أنه مصاب بهذا الفيروس حالياً، أو أصيب به سابقاً وبما أنه يمكن عزل هذا الفيروس من حوالي ٦٠% من الناس الذين لا تظهر عليهم علامات المرض، فإن الذين يصابون بالإيدز، ويتلف عندهم جهاز المناعة، تكون طريق عمل هذا الفيروس سالكة، دون أي عائق، فينشط وينتشر في جسم المصاب مسبباً له حرارة، ونقصاً في الصفائح الدموية، والكريات اللمفاوية مع طفح جلدي، وتشوه في العيون، وتقرحات مؤلمة في الجهاز الهضمي، ويمكن لهذا الفيروس أن يصل إلى أي مكان في الجسم عن طريق الدم، ويمكن عزله من الدم والبول، وقد أثبتت الدراسة أن ٩٠% من الشاذين جنسياً، سواء كانوا مصابين بمرض الإيدز أم غير مصابين به، هم مصابون بهذا الفيروس، ويستطيع هذا الفيروس المشاركة في إحداث أي تلف في أنحاء الجسم، كالأمعاء والكبد والرئتين والدماغ والحلق وغيرها، ولملازمته لمرضى الإيدز، كانت الظنون تتجه إليه، كمسبب رئيسي له. علماً أن تشخيصه مخبرياً سهل جداً، ولكن لا علاج له حتى الآن.

٢- فيروس ابستين بار (E.B.V):

وجد هذا الفيروس في حلق ٩٠% من مرضى الإيدز، كما وجد في الكريات اللمفاوية في الدم، علماً بأن ١٠٠% من مرضى الإيدز، كان في دمهم أجسام مضادة لهذا الفيروس (E.B.V)، والإصابة بهذا الفيروس تحدث حرارة وتضخماً بالعقد اللمفاوية، وإجهاداً عاماً في الجسم، وقد وجد أن لهذا الفيروس، علاقة بالسرطان الذي يظهر على كثير من الشاذين. والدور التخريبي الذي يقوم به هذا الفيروس غير معروف تماماً إلى الآن، كما لا يوجد له علاج ناجح.

٣- الهربس (Herpes Simplex):

يسبب هذا الفيروس تلفاً كبيراً في منطقة الأغشية المخاطية، وفي الجلد وفي الفم وفي منطقة الشرج، وهو يختفي المرة ويظهر الأخرى، وقد أصيب به حوالي ٩٠% من الشاذين جنسياً، علماً أن جميع مرضى الإيدز لديهم أجسام مضادة لهذا الفيروس، وهو يسبب للكثير من المرضى تقرحات شديدة حول الشرج وداخل المستقيم، فتتقيح الأغشية الداخلية، ويحدث بعض النزف الدموي، ويساعد في ذلك العديد من الجراثيم الموجودة في البراز، وهذا الفيروس، يُصيب منطقة الأعضاء الجنسية، ومنطقة الحلق. ورغم إمكانية تشخيصه مختبرياً، وتوفر العديد من العلاجات اللازمة له، إلا أن بعض الحالات، تخرج من دائرة السيطرة الطبية، خاصة مع غياب دور جهاز المناعة فتساعد في القضاء على المريض.

٤- هربس زوستر (Herpes Zoster):

ظهرت الالتهابات التي يسببها هذا الفيروس، عند كثير من الشاذين جنسياً. صغار السن. كما ظهرت كثيراً في وقت مبكر، عند أشخاص أصبخوا

فيما بعد مرضى إيدز، فاعتقد العلماء أن هذا الفيروس، يمكن أن يستعمل كعلامة أولية لاكتشاف هذا المرض في وقت مبكر، إلا أنه ظهر أيضاً عند بعض المرضى الآخرين، وهذه الالتهابات يمكن أن تكون محلية، أي في أي مكان على جلد المريض، أو منتشرة في جميع أنحاء جسمه. وتشخيصه ممكن، ولكن علاجه صعب، ومن عادته أن يظهر مراراً على نفس المريض.

٥- التهاب الكبد الوبائي (Hepatitis B. virus):

ينتقل هذا الفيروس عن طريق الدم أو السائل المنوي، وقد وجد مع الغالبية العظمى من مرضى الإيدز، وهو ينتشر بواسطة الاتصال الجنسي الشاذ، كاستعمال الفم، وقد لوحظ انتشاره عند الذين يمارسون اللواط، كما وجد أن ٥٠% من الشاذين في العالم يصابون بهذا المرض خلال عام أو عامين من بداية شذوذهم، وقد أظهرت دراسة للدكتور "سكوفيلد" أن ٨٠% من المصابين بهذا المرض، اعترفوا بأنه يمارس معهم الجنس عن طريق الفم، وأن ٥٠% ابتلعوا مني الذين لاطوا بهم، ويذكر الدكتور "فيكتور دانيال" (١٩٨٥م) أن ٨٠% على الأقل من المصابين به، أصيبوا أو ظهرت عليهم في السابق أعراض مرض التهاب الكبد الوبائي، وقد تبين من الإحصائيات الطبية أن ٩٠% من حالات هذا المرض، تقع في واحدة من المجموعات الثلاثة التالية وهم: الشاذون جنسياً، مدمنو المخدرات بواسطة الحقن الوريدية، والمصابون بنزف الدم (الهيموفيليا)، وينتقل الفيروس في هذه الحالة إما بواسطة الدم أو الحيوانات المنوية.

٦- مرض المولوسكم المعدي (Molluscum Contagiosum):

وهو مرض معدٍ، يسببه فيروس صغيرة يعيش على الجلد، وتظهر علامات الإصابة به، بعد (١-٣) شهور، على شكل بثور في مكان دخول

الفيروس للجلد، وهذا المرض غير مؤلم بذاته، ولكن وجوده يؤدي المصاب به حيث يسبب له القلق والخوف من المضاعفات، وأكثر ما يظهر على مرضى الإيدز في الوجه والصدر، وعندما ينتقل عن طريق الزنى أو اللواط، فإن البثور تتركز على الأعضاء الجنسية أو حولها، لذا تظهر على القضيب والصفن ومنطقة العانة، والفخذ عند الرجال أما النساء فتظهر على الفرج، والمنطقة المجاورة، كما تظهر حول الشرج عند الشاذين الذين يلاط بهم، وعلاج هذا المرض أكثر إبلاماً من المرض نفسه إذ يعالج كما ذكر الدكتور "كاتيرال" بالكي والتجريف.

الفصل الثامن
الإيدز والأورام الخبيثة

الإيدز والأورام الخبيثة

تمهيد

أصبح من الواضح أن عدة أنواع من الأورام الخبيثة، لها علاقة بمرض الإيدز، وأنها بازدياد مستمر، إذ أن حوالي ٣٥% من المصابين به، أصيبوا بسرطان الجلد، كما أصيب كثير منهم بالإنتانات الانتهازية المختلفة، مع هذا السرطان، وقد أصيبت أعداداً كثيرة من مرضى الإيدز، بأنواع مختلفة من الأورام الخبيثة، التي تحدث في العقد اللمفاوية، والفم ومنطقة الشرج، علماً أن نسبة حدوث سرطانات الجلد عند الشاذين جنسياً، هي خمسة أضعاف ما يصاب به غيرهم، أما سبب انتشاره عندهم أكثر من غيرهم بكثير فما زال لغزاً يحير الأطباء.

وأهم أنواع الأورام الخبيثة، وأكثرها انتشاراً، هو السرطانات الجلدية، وكأنها أختام يوسم بها جلد مريض الإيدز، لتبقى شاهداً عليه إلى يوم الدين، أنه شاذ عن الفطرة، وحتى لا يبقى أحد إلا ويعرف قصته مع السرطان والإيدز، إلى أن ينتهي به المطاف بالموت.

كابوسي ساركوما (Kaposi Sarcama):

وهو سرطان يصيب الجلد والأنسجة الضامة، اكتشف عام ١٨٧٢م، من قبل طبيب هنغاري اسمه "موريس كابوسي" وقد سمي هذا السرطان باسمه، ويذكر الدكتور "روبرت كرجل" (١٩٨٥م) أن هذا المرض بقي نادر الوجود والانتشار منذ اكتشافه، وأنه كان يظهر أحياناً عند كبار السن الذين تجاوزت أعمارهم الستين عاماً، وغالبيتهم من الطليان وسكان أوروبا الشرقية المنحدرين من أصل يهودي، كما ظهر أيضاً في أفريقيا، وتركز في

زائير وكينيا وتنزانيا، حتى وصل إلى أكثر من ١٠% من مجموع الأورام الخبيثة التي اكتشف عندهم، وهذا النوع من السرطانات يسمى (Classic k. s) كابوسي ساركوما الكلاسيكي، والنوع الآخر منه، وهو الأهم، حيث بدأ ينتشر بشكل ملفت للنظر في الولايات المتحدة، وبالذات في أوساط الشاذين جنسياً، رغم صغر سنهم، وقد سمي بالنوع الوبائي (Epidemick K. S.) ولهذا النوع مسار يختلف عن سالفه، حيث أنه ينتشر ويتقدم بسرعة أكبر بكثير من النوع الأول (أنظر الصور ٧ و ٨).



صورة رقم (٧) مصابون بسرطان الجلد "كابوسي ساركوما"



صورة رقم (٨) مصابون بسرطان الجلد "كابوسي ساركوما"

ويذكر الدكتور "كيفن" أن عدد حالات هذا السرطان التي ظهرت بين الشاذين المصابين بالإيدز عام ١٩٨١م قد ارتفع من (٤١) حالة إلى (٢٣١) حالة في شباط ١٩٨٢م، ومن (٣٤٠) حالة في أيار عام ١٩٨٢م، إلى (١٠٠٠) حالة في نهاية العام نفسه، وهكذا فزيادة انتشاره مطردة وتتناسب وسرعة انتشار المرض الأم وهو الإيدز، وهو ينتشر وسط الذكور أكثر من الإناث، (١٤-١). ويذكر الدكتور "فيكتور" (١٩٨٥م) أن ٨% من مرضى الإيدز المصابين بهذا السرطان، لا يعيشون أكثر من ٢٨ شهراً، وإذا أصيبوا بإنتانات انتهائية أخرى، فإن هذه المدة ربما تنقص كثيراً.

أما كيف يبدأ، ومن أين يبدأ، وما السبب المباشر له، فهذا ما لا جواب عليه إلى الآن، إلا أن الأبحاث الجارية عليه، تركز على الفيروس المسمى (C.M.V)، كمتهم رئيسي في أن يكون مسبباً مباشراً لهذا

السرطان، وذلك راجع لعدة أسباب منها أن ٩٠% من الشاذين جنسياً، مصابون بهذا الفيروس، وأن كل مرضى الإيدز المصابين بهذا السرطان، قد أصيبوا أيضاً بهذا الفيروس، وأن المادة الرئيسية الموجودة في هذا الفيروس (D.N.A) قد وجدت في أنسجة هذا السرطان، كما وجدت في الخلايا المأخوذة من هذا الورم الخبيث، وفي دراسة نشرها الدكتور "روبرت كرجل" (١٩٨٥م)، من مركز الأبحاث السرطانية بنسلفانيا، عن مرضى الإيدز المصابين بهذا السرطان ذكر أن ٩٤% من الشاذين جنسياً، الذين راجعوا عيادة الأمراض الجنسية، كانوا مصابين بفيروس (C.M.V) وأن ٥٤% من الزناة كانوا مصابين به كذلك، كما أن هذا الفيروس قد عزل من البول عند ١٩% منهم، كما ظهر عند البقية في الدم والسائل المنوي والقناة الهضمية والجهاز العصبي المركزي، والرنيتين عند مرضى الإيدز.

ومهما يكن من أمر، فإن هذا السرطان بانتشاره السريع، عند هذا النفر من الشاذين، أصبح يمثل فصلاً من مسرحية الإيدز، المملوءة بالمفاجآت.

الفصل التاسع

المعرضون للإصابة بالإيدز

المعرضون للإصابة بالإيدز

تمهيد

الإصابة بمرض الإيدز ليست أمراً سهلاً، كما يتراءى لكثير من الناس، أو كما صورته لهم وسائل الإعلام المختلفة، إذ أن احتمال الإصابة به، تكاد تكون نادرة جداً، إذا لم يكن الإنسان شاذاً جنسياً (لوطياً)، أو مدمناً على المخدرات بالحقن الوريدية، حيث أن الوسائل التي قد ينتقل بواسطتها هذا الفيروس، عن غير هذه الطرق، لا تكاد تذكر بجانب القنوات الرئيسية المسؤولة عن نشر هذا المرض، بالإضافة إلى أن هذه الطرق يمكن السيطرة عليها، مع تقدم الفحص المخبري، وزيادة الوعي الصحي.

علماً أن الإصابة به ممكنة جداً، إذا كان المرء شاذاً جنسياً، أو مدمناً على المخدرات بالحقن الوريدية، أما الدعايات التي تصور أن كل إنسان معرض للإصابة به، فلا أساس لها من الصحة، خاصة في بلادنا الإسلامية، وذلك لأن أهم وسائل نقل هذا المرض، في وسطها تكاد تكون معدومة، غير أن لهذا الخوف والرعب من الإصابة به، ما يبرره في أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وغيرها، لأن فيها أكبر تجمعات ومراكز الشذوذ، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً يوجد عشرة ملايين شاذ جنسياً على الأقل، وأكبر تجمعاتهم ونواديبهم موجودة في نيويورك وسان فرانسيسكو وغيرها، والشذوذ عندهم ظاهرة اجتماعية، يقف وراءها سياسيون واقتصاديون وعلماء اجتماع، ومع ذلك يعلن الدكتور "قوردن"، من معهد الصحة القومي في أمريكا "إن الإصابة بمرض الإيدز، بعيدة جداً عن كل

من ليس من المجموعات المعرضة للفيروس، وخاصة مجموعة الشذوذ"
وبالتالي فالمعرضون للإصابة بالإيدز هم:

أولاً: الشاذون والمختنون (اللوطيون):

أول حالات مرض الإيدز اكتشافاً، كانت من وسط الشاذين جنسياً، في الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت غالبيتهم من الذكور، حيث بلغت نسبتهم ٩٠-٩٥% من الحالات، وتتراوح أعمارهم بين ٢٠-٤٩ سنة. والشاذون أعداد هائلة في الشرق والغرب، وبالذات في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ يوجد بها من ١٠-١٧ مليون شاذ جنسياً، لهم نوادي وتجمعات رسمية يحميها القانون، وبذا يشكلون مجتمعاً قائماً بذاته، وهؤلاء هم الحلقة الرئيسية في نشر هذا المرض، ومنهم الغالبية العظمى من الضحايا، وقد نشرت الدوريات العلمية الكثير عنهم، ومشكلة هؤلاء، الإباحية المطلقة، وكثرة الأطراف التي يتصلون بها جنسياً، فقد يتصل الواحد منهم بأعداد كبيرة جداً، ربما تصل إلى خمسين فرداً في العام الواحد، وقد ذكر الشاذ "فليب لانزاراتا" البالغ من العمر ٤١ عاماً، أنه اتصل جنسياً بحوالي (٢٧) مريضاً بالإيدز، لذا فقد اتصل به الموت مبكراً.

ويتم انتقال المرض عند هؤلاء، عن طريق السائل المنوي، حيث يكون مملوءاً بفيروس المرض، (أكثر من مليون وحدة فيروس في الملتتر الواحد)، فعندما يصل إلى الشرج أو الفم، يدخل الفيروس من خدش صغير جداً، حصل نتيجة الاحتكاك في الأغشية المبطننة، ثم إلى الدورة الدموية، فالخلايا التانية، حيث يباشر نشاطه العنيف بالإتلاف والتكاثر الذي ينتهي بالمصاب إلى فقدان المناعة.

ومن الجدير بالذكر، أن ٩٠% من اللوطيين، يستعملون مواد منشطة للجنس، مثل أمائل نيترات (Amylnitrite)، مما يوسع دائرة الاتصالات الجنسية، لذا فالغالبية العظمى منهم- إن لم يكونوا جميعاً- عانوا ولا زالوا يعانون من أمراض جنسية أخرى. ويذكر أن شاذ جنسياً، أصيب بمرض الإيدز ومات فيه، فجعل تركته وفقاً على مساعدة مرضى الإيدز، ولتحذير الناس من هذا المرض، وتولت ذلك جمعية خيرية أطلقت على نفسها اسم المتبرع نفسه "ترنس هايقن"، ومركزها لندن^(١)، وقد أصدرت هذه الجمعية نشرات للأطباء وللعمامة، وأخرى للمصابين بالشذوذ الجنسي، تنصحهم فيها بالتقليل من الخلان، وتجنب ممارسة الجنس عن طريق الشرج والفم، وعدم التبرع بالدم أو بأي عضو من أعضائهم، وهكذا يكون اللواط والزنا من أوسع حلقات انتشاره.

ثانياً: مدمنو المخدرات بالحقن الوريدية:

تشكل هذه الفئة الحلقة الرئيسية الثانية لانتشار الإيدز، وقد بلغت نسبتهم ١٧% من مجموع مرضى الإيدز (أنظر نسب الإصابات في الجدول المرفق)، وينتقل فيروس هذا المرض بينهم، عندما يجتمعون في نواديهم على شكل حلقات، يستعملون نفس الحقنة من المخدر للمجموعة كلها، فإن كان بينهم من هو مصاب به فإنه يلوث إبرة الحقنة بفيروس الإيدز، عندما يغرزها في وريده، ثم يستعملها الذي يليه وهي ملوثة، فيدخل الفيروس مع الإبرة عندما يغرزها في وريده، ومثله الثالث والرابع إلى آخر المجموعة، ولكثرة هؤلاء، ولكثرة ما يستعملون من الهرويين والكوكايين والمواد المثيرة للجنس، فإنهم يشكلون عدداً هائلاً من المرضى المصابين به.

^(١) لندن هاتف (٠١-٢٧٨-٨٧٤٥).

وفي دراسة أجريت على المدمنين في الولايات المتحدة، وجد أن ٨٧ % منهم، لديهم أجسام مضادة لفيروس الإيدز، ورغم أنهم مصابون بهذا الفيروس، إلا أن علامات المرض لمّا تظهر عليهم بعد، لأسباب لم يعرف عنها إلى الآن، ومع ذلك فهم معدون لغيرهم، وقد ظهر مثل ذلك في (٤٣) دولة إلى الآن، وهؤلاء مع إصابتهم بهذا الفيروس إلا أنهم معرضون لأمراض أخرى كثيرة، أهمها التهاب الكبد الفيروسي.

وهكذا يكون اللواط والمخدرات، من أوسع حلقات انتشاره على الإطلاق، إذ بلغت نسبة انتشاره عن طريقهما أكثر من ٩٢% منت المصابين به، فحيثما انتشرا في مجتمع، كان ذلك المجتمع مهدداً بهذا المرض.

إحصائية بمرض الإيدز في الولايات المتحدة حتى ١٠/٢/١٩٨٦م كما أعلنها مركز مراقبة الأوبئة (C.D.C) في أطلنطا.

النسبة	الحالات	الضحايا
٧٣%	١٢٥٧٠	* اللوطيون
١٧%	٢٩١٩	* مدمنو المخدرات
١%	١٣٨	* مرضى الناعور
١%	١٩٩	* الزناة
٢%	٢٧٩	* نقل الدم
٦%	١٠١٠	* آخرون
١٠٠%	١٧١١٥	المجموع

أما ما يروج له، من أهمية الوسائل الأخرى، في نقل المرض، فهو أكثر من الحقيقة، وهذه دعايات ربما يكون وراءها، من يشجعون الشذوذ ويروجون له، حتى لا تزداد النقمة على الشذوذ وأهله، وحتى لا يقترب الشرق والغرب من أخلاقيات ومثاليات نظيفة، فتفوت الفرصة على من أخذوا على عاتقهم تدمير الشعوب عقدياً وأخلاقياً.

ثالثاً: المجموعة الباقية وهي (٧-٨%) :

لا تزيد هذه المجموعة عن عُشر حالات الإيدز، وسوف تقل هذه النسبة كثيراً، مع تقدم الفحوصات المخبرية، وزيادة الوعي الصحي، وتجنب بعض الممارسات الاجتماعية. وهي بمجموعها لا تستحق كل هذه الضجة الإعلامية، التي أثيرت وتثار حولها، ذلك لأنها ليست الطريق الرئيسي لانتشار المرض، علماً أن نصف هذه المجموعة يرجع في أصله إلى الشذوذ الجنسي بطريقة غير مباشرة، ويقع تحت هذه المجموعة:

أ - مرضى النزيف الوراثي (الهيموفيليا):

وتشكل هذه الفئة ١% من مرضى الإيدز، وينتج مرض الناعور (الهيموفيليا)، عن نقص وراثي في العامل الثامن من عوامل تجلط الدم، وعلاجه الوحيد، هو إعطاء المصاب به (بواسطة الوريد) مركز العامل الثامن باستمرار، ويستحضر مركز العامل الثامن، بخلط حوالي (٢٠٠٠-٥٠٠٠) وحدة دم، مأخوذة من مصادر عديدة، ثم تعامل هذه الدماء المخلوطة، ويُستخلص منها في النهاية مركز العامل الثامن، فإن كان أية وحدة، من وحدات هذا الدم، ملوثة بفيروس الإيدز، فإن الدماء التي دخلت في هذه الخلطة تصبح ملوثة، وبالتالي فإن كلَّ أو جُلِّ، من استعمل هذا المستحضر الملوث، يصاب به. وللعلم فإنه يتم التبرع بحوالي عشرة ملايين وحدة دم في

الولايات المتحدة سنوياً، يستعمل منها ثلاثة ملايين في نقل الدم، وخاصة في العمليات الجراحية، أما الباقي فانه يحول لاستخلاص العامل الثامن، لصالح مرضى الناعور.

ب - نقل الدم:

ضحايا الإيدز عن هذا الطريق، أبرياء لا ذنب لهم، إلا أنه نقل إليهم دم ملوث، إما أثناء العمليات الجراحية، أو نتيجة فقر الدم، وهم يشكلون ٢، ١ % من مرضى الإيدز، وتزداد أعداد ضحايا هذا النوع من المعرضين للإصابة، في المجتمعات التي تحوي أعداداً كبيرة من الشاذين، حيث أن دماهم، تكون في كثير من الحالات ملوثة بالفيروس، دون أن تظهر عليهم علامات المرض. وللقضاء على دور هذا الطريق في نشر الإيدز، يجب فحص المتبرع قبل أخذ دمه، وإغلاق سوق الدم في العالم، حيث يتاجر الكثيرون بدمائهم لشراء المخدرات، ولا بد كذلك من أن تكتفي كل دولة بما لديها من دم، فلا تستورد ولا تصدر.

ج- زوجات وأبناء مرضى الإيدز:

ينتقل هذا الفيروس إلى زوجات المصابين به، بواسطة الاتصال الجنسي، كما ينتقل من المومسات المصابات به، إلى من يتصل بهم من الزناة. أمام الأطفال فيأخذونه، من أمهاتهم المصابات، إما أثناء الحمل عن طريق دمه، أو بعد الولادة عن طريق حليبها أثناء الرضاعة.

وهناك بعض الحالات الأخرى، التي لها أصول جنسية مباشرة، لا أصول عرقية، كما يُشاع عن مهاجري جزر هايتي وغيرها، من أنهم السبب في وجود المرض، إذ الواقع أنهم كغيرهم من المجتمعات الغربية، ينتشر عندهم اللواط، وجزرهم ملتقى الشاذين من أوروبا وأمريكا، لذلك ينتشر

وسطهم هذا المرض، وقد استبعد العلماء كما أسلفنا، الأصل الهايتي لهذا المرض، حيث قالوا: "إن الإيدز مرتبط بالشذوذ والإباحية، لا بالأصول العرقية"^(١)، وهذا ينسحب على بعض سكان القارة الأفريقية.

علماء أنني لا أستبعد أن هناك بعض الحالات، ربما انتقلت بواسطة البعوض في أفريقيا، إذ لا أجد فرقاً كبيراً، بين إبرة الحقنة الملوثة، التي تنتقل من وريد إلى وريد، فتكون أداة لنقل المرض، وبين إبرة البعوضة التي تتغذى على دم العديدين في اليوم الواحد، كما أنني لا أستبعد أيضاً، أن لبعض العادات والتقاليد في أفريقيا، دوراً في نقل المرض، مثل تبييت الأذنان والأنوف، وإحداث الجروح المختلفة على وجوه وأجساد أفراد القبائل لوشمها، إذ ما المانع أن ينتقل المرض من المصاب إلى السليم، إذا كانت الأداة التي استعملت ملوثة؟؟.

^(١) The Plain truth (Dec, 1985)

الفصل العاشر

جون والإيدز

جون والإيدز

جون شاب في مقتبل العمر، يسكن في قرية صغيرة، قرب مدينة مانشستر (بريطانيا)، له شقيقتان متزوجتان، ولا زال والده على قيد الحياة، ورغم أن جون، قد أمضى عمره الذي لم يزد على الثالثة والثلاثين في صحة جيدة، إلا أنه كان يعاني من حساسية خاصة، ضد مساحيق الغسيل، كما كان شاذاً جنسياً، حيث كانت له علاقات جنسية خاصة، مع مجموعة من أصدقائه. ومنذ عامين بدأت تظهر عليه علامات مرض الإيدز، إنهك عام، تعرق ليلي، نقص في الوزن، هجمات متكررة من الإبتانات الفطرية الانتهازية في الفم والحلق، وكذلك التهابات صدرية متكررة، كما ظهرت عليه تآليل الأعضاء الجنسية.

وفي آب عام ١٩٨٤، لاحظ وجود بقع حمراء على بطنه، ثم أصيب بالتهاب حاد في صدره، عولج من الالتهاب، لكن البقع ازدادت عدداً، وتقاربت شكلاً، حيث أصبحت بيضوية الشكل، وفي تشرين الأول من العام نفسه، انتشرت هذه البقع على منطقة الصدر والبطن والأنف، وكانت غير مؤلمة، ولا تستدعي الحكّة، حوّلّه طبيبه المعالج، إلى أخصائي باطنية، فحوّله هذا إلى أخصائي جلدية وتناسلية، حيث تم أخذ خزعة من هذه البقع لفحصها، ثم الحقت بثانية، فتبين أن هذه البقع، لمرض سرطاني، يصيب الجلد عند مرض الإيدز، يسمى "كابوسي ساركوما" وبعدها حوّل إلى أخصائي في علم المناعة، لفحصه بخصوص الإيدز، فوجد أنه مصاب به.

في الأسبوع الأول من عام ١٩٨٥، أدخل جون مستشفى مونسال (وهو مستشفى خاص بالأمراض المعدية في مدينة مانشستر)، ووضع في غرفة خاصة لعزله، وبعد الفحوصات (الروتينية) كتب على إضبارته

المعلومات التالية: الحرارة (٣، ٣٧م)، النبض (١١٢)، التنفس (٢٢)، الضغط (٩٠/١١٠). كانت البثور والبقع السرطانية قد غطت جزءاً كبيراً من جسمه، كما غطت لسانه طبقة بيضاء مع وجود تقرحات في فمه، نتيجة الالتهابات الانتهازية الفطرية التي سببتها له جرثومة الكانديدا.

خصص للمرضات ملابس واقية، وطلب إليهن خلعهما في مكان خاص، بعد الخروج من غرفة جون مباشرة، كما منع أي طبيب أو ممرضة، به جروح أو خدوش أو التهابات، من الدخول إلى غرفته، كما منعت الممرضات الحوامل من الدخول أيضاً، أما أغطية سريره، وكل ما كان يستعمل داخل غرفته، مثل الشاش والقطن وحافظات الإبر والحقن وغيرها، فكانت توضع في أكياس خاصة وتغلق بإحكام وتتلف، وكان في الغرفة صينية (وعاء خاص) يحوي جهازاً صغيراً لفحص الأذن، وآخر لفحص العيون، وسماعة وميزان حرارة ومطهرات وغيرها، مما يحتاجه الطبيب لفحص جون، كما كان فيها حاويات صغيرة لجمع البول والبراز حيث تستعمل لمرة واحدة ثم تتلف.

جلس جون في غرفته وحيداً، كان متعاوناً قليل الطلبات، لم يترك وحيداً لمدة طويلة، بل كانت الممرضات يقضين عنده بعض الوقت بالتناوب، لتخفيف مصابه، وقد وضع له برنامج لقياس حرارته ونبضه وتنفسه كل أربع ساعات، وتسجيل طعامه وبوله وبرازه بانتظام، وكان يجاب على أسئلته بكل صراحة ووضوح. وعند إجراء الفحوصات لدمه، وجد أن عدد الكريات البيضاء (٣٩٠٠) ^(١)، والهيموجلوبين (١٣،٤) وقد كان يفحص باستمرار، لمراقبة تطور أي من الالتهابات الانتهازية، التي يمكن أن تبدأ في أي وقت،

^(١) في الأحوال الطبيعية يتراوح العدد بين ٤٥٠٠-١١٠٠٠ في الملمتر المكعب الواحد.

ونظراً للسعال الجاف الذي بدأ عنده، تم تصوير صدره شعاعياً، كما صورت كل البثور السرطانية، المنتشرة على جلده وفي فمه.

ومع نهاية الأسبوع الأول من عام ١٩٨٥، بدأت تظهر عليه حرارة خفيفة، بشكل مستمر فأعيد تصوير صدره، كما أخذت له عينة من النخاع الشوكي، وخزعة من الرئة لفحصها، وبعدها، أصبح يعاني من صعوبة في التنفس، وبدأ لونه يميل إلى الزرقة، لذا ركب له الأكسجين لمساعدته وبدأ الوهن يزداد في جسمه، وأصبح يعاني من صعوبة في البلع، وشعور بالحاجة للتقيؤ وعدم قدرة على الكلام دون سعال، ومع أن الأطباء والممرضات كانوا يهونون عليه، إلا أن عُسْر الازدراء، والسعال كان بازيدياً، فأعطي علاجاً خاصاً بالتهاب الصدر الحاد كما أعطي باراسيتول للتخلص من الصداع الذي أصابه، بعد أخذ عينة النخاع الشوكي.

كانت شكواه من الشعور بالتقيؤ مستمرة، وقد نقيأ عدة مرات، من جراء علاج التهاب الرئتين، الذي كان يتناوله بواسطة الفم، فتم تحويله إلى الوريد، مع بعض السوائل التي كانت تعطى لها باستمرار، مع المراقبة الحثيثة لاكتشاف أية بداية لإلتهاب إنتهازي، ومع هذا أصيب بالطفيل الذي يسبب التهاب الرئة الحاد، وفي ١٥/١/١٩٨٥، قل شعوره بالتقيؤ، كما أصبح التنفس عنده أسهل، ورغم استمرار السعال الجاف، إلا أن حرارته كانت ٣٨ م°، وفي اليوم التالي، بدأ يشكو من الإمساك، فأعطي علاجاً لذلك، ثم بدأ يشكو في اليوم الثالث من صداع شديد عند الوقوف، أما عند الاضطجاع فيزول كلياً، واستمرت حرارته ٣٨ م°، وصاحب ذلك إحمرار على خديه وحاجبه الأيمن، وكانت سرعة تنفسه قد ازدادت، فأعطي سوائل أكثر، كما كانت الخلايا البيضاء (٣٥٠٠).

في ١٩٨٥/١/٢١، أصبح يتقيأ بعد تناول الحليب والشوكولاته، وبدأ يشكو من الإمساك، فأعطي تحاميل مليئة، لكن أثرها كان خفيفاً، فاستأن أن يأخذ نوعاً آخر من الملين، كامن يستعمله في السابق، كما أعطي علاجاً خاصاً للفطريات (نيساتين) أربع مرات يومياً بعد الأكل، كما أعطي بخاخاً للتنفس، (فنتولين) أربع مرات كذلك، وبقي جون طريح الفراش طوال يومه، وأخذ الوهن منه كل مأخذ، كما بلغ الطفح الجلدي الوجه والجبهة، كما كان التبول قليلاً، ولذا وضع تحت المراقبة وزيدت له السوائل اللازمة بدقة، وعند الاستحمام الخفيف الذي رتب له وجدت عدة مناطق متحجرة وغير مؤلمة على مقعدته عللها الطبيب المعالج، بأنها ناتجة عن كثرة النوم والاضطجاع، وفي اليوم الثاني بدأ يشعر بصعوبة في التنفس، لذلك أعيد له الأكسجين (٣٥%)، كان يحتاج للأكسجين كل وقته، وكان سعاله مستمراً دون تحسن، كما كان تنفسه طبيعياً، وبعد معاينة الصورة الشعاعية التي أخذت لصدره، تبين وجود التهابات في الرئتين دون معرفة السبب لذلك، كانت حرارته ٣٨م° وعدد الكريات البيضاء (٢٦٠٠)، ورغم أنه لا يتناول إلا الطعام الخفيف، إلا أنه استمر في الشكوى من العسر الازدراد.

كان أقاربه قلقين عليه عند زيارتهم له هذه المرة، وقابلوا الطبيب المعالج، وفي ١٩٨٥/١/٢٥، صورت معدته شعاعياً، فوجدت طبيعية، فأعتقد الطبيب أن سبب عسر الابتلاع ناتج عن الالتهاب الذي تحدثه جرثومة الكانديديا في الحلق، كانت إبرة المغذي (الجلوكوز) قد تحركت قليلاً، فأزالها الطبيب وأعطاه (Nystatin)، على شكل سائل مع فلوأوكساسلين، كل ست ساعات بواسطة الوريد، كما أعطى ١٠٠٠ ملغم من بنتاميدين (Pentamadime)، بالعضل مرتين يومياً، للقضاء على التهاب الرئتين،

وكان لهذا العلاج الأخير، مضاعفات جانبية عليه، منها الهبوط المفاجئ في الضغط ودقات القلب، فوضع تحت المراقبة المركزة، إذ كان يقاس ضغطه ونبضه كل ربع ساعة لمدة ساعة، ثم كل نصف ساعة، وقد اشتد عليه السرطان، فأعطي (٢٥٨) ملغم أتوبوسايد (Etoposides) يومياً لمدة ثلاثة أيام.

وفي الليل حصلت له صعوبة شديدة بالتنفس، فوضع له الأكسجين، وفتحت النوافذ والأبواب، واستدعى الطبيب على عجل، وكاد يختنق، ولما وصل الطبيب زاد الأكسجين في الغرفة وأمر به أن يبقى باستمرار، وفي اليوم التالي، كان جون يبدو أقل اختناقاً وزرقة مما كان عليه، رغم ازدياد السعال الجاف، وقد عزلت بكتيريا من البلغم الذي كان يخرج منه، ونتيجة للإيدز وبعض علاجات السرطان (Cytotoxic drugs)، فقد ازدادت درجة نقصان المناعة عنده، فكثف المراقبة، وزادت احتياطات الممرضات قبل وبعد الخروج من عنده، كلبس القفازات والكمادات والملابس الخاصة، وحتى لا يحصل أي التهاب، فقد كان يقدم له الطعام والشراب الساخن لضمان خلوه من الجراثيم، كما منعت عنه الأطعمة غير المطبوخة كالجبن، وغيرها، كما كانت المنطقة التي سيأخذ بها الحقنة تنظف جيداً باستعمال (٢%) بنتادين، وتغطي بقطعة شاش معقمة لمدة ١٥ دقيقة، وفي صباح اليوم الثاني، كان جون لا زال منهكاً، إلا أنه أحسن من الليلة الماضية، وكان دمه يفحص كاملاً، بمعدل مرتين في الأسبوع، وكانت الكرات البيضاء تهبط تدريجياً، فقد كانت (١٤٠٠) خلية/ملمتر مكعب.

وفي ١٩٨٥/١/٢٧، تحسن جون نتيجة الاستعمال المستمر لعلاج الفطريات، وقد حول للمعالجة الحكيمة، لممارسة تمارين خاصة بالصدر،

وكان لها آثار جيدة، وأمر الطبيب بإحضاره حالما ترتفع درجة حرارته لزراعة دمه، ونتيجة لتحسنه، أزيل الأوكسجين، ولكنه بعد سويغات بدأ الاختناق، والميل إلى الزرقة، فأعيد له الأوكسجين كما كان، وأعطاه الطبيب (٥٠٠) ملغم من المضاد الحيوي فانكوميسين (Vancomycin) مع واحد غم نيوميسين (Neomycine)، بواسطة الفم كل ست ساعات، وفي اليوم التالي، أصبح جون لا يستطيع التنفس، مع الشكوى من حدوث تقلصات عضلية في صدره ومقعدته وكتفيه ورغم ذلك أصر الطبيب على مواصلة علاجه بنفس الحقن، وسرعان ما تخلص من الانقباضات العضلية، وأصبح التنفس أسهل من ذي قبل، علل الأطباء ذلك أنه كان نتيجة لعلاج السرطان، لا نتيجة للحقن الخاصة بالتهاب الرئتين، ومع هذا التحسن، كان عدد كريات الدم البيضاء في اليوم التالي (١٣٠٠)، والهيموجلوبين (١٠.٣)، وقد استمر هذا التحسن طوال الأسبوع، وانعكس إيجاباً على صحته بشكل عام، وعلى البقع السرطانية بشكل خاص، وكذلك على صدره والبلغم الذي خفف كثيراً.

وبشكل مفاجئ أصيب جون بانتكاس حاد، ففي ١٩٨٥/٢/٥، بدأت تظهر عليه علامات غريبة، فقد بُح صوته ورافق ذلك شرود في ذهنه، ولا مبالاة مع تجاهل للكثير من الأسئلة، وأصبح يتمم وشكله أقرب ما يكون للمخمور، ثم دخل في شبه غيبوبة، وقد تبين أن سبب هذا، هو هبوط شديد في سكر الدم، فأعطى (٥٠) مللتر من محلول سكري في الوريد، وزادت الرقابة على البول والحرارة والنبض والتنفس، وفي صباح اليوم التالي كان يتصرف بغرابة أكثر، وأصيب ثانية بنقص شديد في سكر الدم، فأعطى في الحال محلول سكري لمعادلة ذلك، وتبين أنه سببه هو علاج بنتاميدين (Pentamidine)، فأوقف فوراً، وكذلك المضادات الحيوية التي كان يأخذها،

وأعطي بدلاً منها، غراماً واحداً من سفتازادين (Ceftazadine) مع (٨٠) ملغم من جنتاميسين (Gentamicin)، كل ثماني ساعات بالعضل. وفي ١٩٨٥/٢/٦، أصيب جون بحساسية عامة في جميع أجزاء جسمه، ثم تبعها ارتفاع بالحرارة (٣٩م) ثم زيادة في البلغم، مع تغير في اللون (أخضر)، وكانت كريات الدم البيضاء (٧٨٠) فقط، أما الهيموجلوبين فقد كان قليلاً (٨,٢) غم، وفي الأيام القليلة التي تبعت ذلك، كانت الحرارة تتحسن قليلاً، علماً أنه أعطي ثلاث وحدات من الدم، وكان تحت المراقبة الحثيثة، وفي ١٩٨٥/٢/١١، كان الهيموجلوبين (٩,٦) وكريات الدم البيضاء (١٢٠٠)، وكانت حالته بين مد وجزر، ولما كانت له رغبة في أن يحتفل بعيد ميلاده برفقة أصحابه، فقد سمح له الطبيب، بمغادرة المستشفى شريطة أن يعتني به زملاءه عناية فائقة، ورغم الكميات الكبيرة من العلاجات الفعالة، والمراقبة الحثيثة المستمرة، إلا أن الإلتانات الانتهازية كانت له بالمرصاد، فبعد أن احتفل بعيد ميلاده الرابع والثلاثين، كان الموت الأسود بانتظاره فمات مزرقاً مختنقاً نتيجة التهاب الرئة الحاد. لتطوى صفحة من صفحات العذاب التي عاشها جون^(١).

(١) عزيزي القارئ: استميتك عذراً إن طلت عليك بسرد قصة جون فقد قصدت من ذلك: الأول: أنها تعكس معاناة مريض الإيدز، كما تعرض لكيفية تشخيصه ومعالجته ثم لتطورات المرض وأعراضه، فالعناية المركزة اللازمة له، فالاحتياطات الواجب اتخاذها، ثم النتيجة المحتومة رغم كل الاحتياطات والتكاليف. الثاني: أنني عرفت العلاقة أثناء زيارتي لبعض أعضاء الفريق الطبي الذي أشرف على علاجه في مانشستر عام ١٩٨٥ حيث رأيت جانباً من الخدمات الطبية التي قدمت له.

الفصل الحادي عشر الشذوذ مجلبة للعقوبة

- العقوبات الدنيوية التي حاقت بأمم قبلنا
- الإيدز طاعون الشذوذ

العقوبات الدنيوية التي حاقت بأمم قبلنا

تمهيد

رغم زخم الأحداث التي تشغل العلم، فلا تكاد نخلو الصحف والمجلات اليومية والدورية، من إشارة قريبة أو بعيدة لهذا المرض، فمن إحصائية عنه في بلد، إلى تفصيل عنه في آخر إلى نفي أو إثبات لوجوده، إلى التقليل أو التضخيم من خطورته، إلى ضحية جديدة به، إلى محاضرة أو ندوة أو مؤتمر عنه، ولعل أهم ما نشر عنه، ذلك القرار الذي صدر عن مؤتمر الإيدز، الذي عقدته منظمة الصحة العالمية في جنيف، بتاريخ ١٩٨٥/٩/٢٣، والذي جاء فيه أن هذا المرض هو واحد من الأمراض الجنسية، إذ تبين لهم أن ٧٣-٧٥% من المصابين به هم من الشاذين جنسياً، وأن ١٧% منهم، من مدمني المخدرات بالحقن الوريدية، وأن ٢% منهم أصيب به نتيجة نقل الدم لهم من مصابين بهذا المرض، أو استعمال دم ملوث به في صناعة العلاجات أو بواسطة التلقيح الصناعي.

وبنظرة عاجلة إلى هذه الإحصائية، يتبين أن مصدر هذا البلاء هو الشذوذ، إذ أن إدمان المخدرات هو شذوذ، يتبعه شذوذ من نوع آخر، وأن الدم الذي نقل هذا المرض إلى اللذين أصيبوا به، وكذلك الدم الذي دخل في صناعة بعض العلاجات جاء أصلاً من شاذين كما أن السائل المنوي الملوث الذي يوضع في رحم الأنثى في التلقيح الصناعي جاء كذلك من شاذين.

وإذا كانت هذه صفات الضحية، فما هي مميزات العقوبة التي يصاب بها؟ وهل من سبيل إلى تجنبها؟ وما هي صفات المخلوقات التي تسببها؟ وأين أسلحة الطب والتقدم العلمي عنها، بل وأين الأديان ونظريات المصلحين

الاجتماعيين والتربويين منها؟ وأين وسائل الدفاع الطبيعية ضدها؟ وما هو العلاج؟!

وقبل الإجابة على هذه التساؤلات غير المتناهية، نذكر ببدهيتين تُفضي كل منهما للأخرى، وينسأهما كثير من الناس أو لاهما: أن قضية الحياة والموت هي أهم قضية تشغل بال الإنسان في هذا الوجود، تشغله قبل لباسه وطعامه وشرابه، ومتعه وتناسله، وقبل أي شيء آخر، لأنها تتعلق بوجوده أو عدمه، فعندما يثوب إلى رشده، ويتصور العدم والفناء، تراه يستغل كل ما يملك وما لا يملك - أن استطاع - للتشبث بالحياة ولو للحظة، فيستكثر من الخير لنفسه، للمحافظة على جسمه سليماً، ليدوم طويلاً، أما إن بقي سادراً في غيه، هانماً على شهواته، فلا يخطر بباله عدم أو فناء، ولا تشغله سلامة جسم، لا بل يُسخر كل طاقاته وقواه، لإشباع غرائزه، فلا يفتيق إلا على طرقات الموت تدق بابه، وقد تخلص عنه الجميع حتى أجهزة جسمه التي أتلفها وهو يلهث وراء شهواته.

والثانية: أن عمر البشرية على ظهر هذه الأرض طويل، وطويل جداً، إذ تعاقب عليها أقوام وأقوام، تعهدتهم العناية الربانية من وقت لآخر، بأنبياء ورسل تحمل لهم هدي السماء، لتردهم إلى الطريق المستقيم لما فيه خيرهم وسعادتهم، وفي كل مرة تثور ثائرة الظالمين في الأرض، وتنشب المعركة بين الحق والباطل، معركة غير متكافئة بين الرسل وبين أصحاب الامتيازات والجاه، حفاظاً ودفاعاً عن امتيازاتهم ومراكزهم، ويستعمل هؤلاء هيمنتهم بذكاء فيحولوا المعركة لتصبح بين الشعوب - وهم جزء منها - وبين الأنبياء والرسل، موهمين الشعوب، أن خطر الدعوة الجديدة سيقع عليهم،

وماذا يملك الرسول من وسائل الإعلام غير صدق دعوته، يعرضها بمنطق
ولين!! (...بقولاً له قولاً لينا).

ولكن أتى للظالم أن يصغي لمنطق، وينتصر الظالمون بمعايير
البشر، فتتدخل العناية الربانية لنصرة المظلوم، يتدخل الله بالوقت والكيفية،
والسلاح والأسلوب الذي يراه، فيعاقبهم بعقوبات صارمة لا تبقى ولا تذر،
(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)^(١). عقوبات
تأتي على آخرهم، لينظف الأرض من رجسهم، ويستخلف بها عباده
الصالحين، مؤكداً أنها العقوبة للظالمين والمتكبرين، للضالين والفاستدين،
للشاذين المغايرين للفطرة والاستقامة" (...مُسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ
الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ)^(٢) ولا يظن المنقطعون عن هدى السماء في واقع حياتهم، أو
المنتسبون له شكلاً، أنهم في منجى من العقوبة، بل ستنالهم كما تنال الظالمين
سواء بسواء، ما لم يؤدوا حق هذا الدين عليهم، بتبليغه للناس، ما لم يعيشوه
واقعا في نفوسهم وبيوتهم وشوارعهم وأديتهم ومؤسساتهم، وفي واقعهم
كله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ)^(٣).

نعم عاقبهم الله في الدنيا بأسلحة لم تكن تخطر على بال تلك الأقوام،
(...وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ...)^(٤) أما عقابهم في الآخرة، فأمره موكل إليه
وحده، ومن صورة هذه العقوبات الدنيوية ما يلي^(٥):

(١) هود ١٠٢.

(٢) هود ٨٣.

(٣) الأنفال ٢٥

(٤) المدثر ٢٣

(٥) قصص الأنبياء. مؤلفه عبد الوهاب النجار.

- **ضنك العيش:** الذي عاقب به آل فرعون، (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسَّيِّئِ
وَنَقَصِ مِنَ التَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) (١) (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ
مَعِيشَةً ضَنْكًا) (٢) ومن صور ضنك العيش، الجوع والقحط والفقير والشقاء
والقلق والحيرة والشك والريبة والتردد، وذهاب الحياء، وزوال البركة
من الوقت والمال والولد.
- **الطوفان:** الذي عاقب به قوم نوح (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا
وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ
السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ
قَدِرَ) (٣). كما عذب آل فرعون (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ
وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) (٤).
- **الريح العقيم:** التي عاقب بها قوم عاد (كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَتَذُرُّ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩)
(تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ) (٥)، (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ) (٦)،
والريح العقيم هي التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً، ولا رحمة فيها ولا منفعة
ولا بركة، وقد كانت تنزع الناس من مواضعهم، كاقْتلاع النخلة من

(١) الأعراف ١٣٠

(٢) طه ١٢٤

(٣) القمر ٩-١٣

(٤) الأعراف ١٣٣

(٥) القمر ١٨-٢٠

(٦) الذاريات ٤١، ٤٣

الأرض، كما كانت تدخل عليهم بيوتهم وحفرهم وكهوفهم، فتنزعهم منها وترمي بهم على رؤوسهم فتدق أعناقهم، وتتفصل رؤوسهم عن أجسادهم.

● الخسف: الذي عاقب به قارون، الذي آتاه الله بسطة في الجسم والزينة والثراء، حتى أن مفاتيح خزنته كانت تنوء بها العصابة أولو القوة، فأنكر ذلك وقال: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) ^(١) وقابله باستكبار وفساد في الأرض، فخسف الله به وبداره الأرض، وأزال عنه النعمة والثراء، وأذاقه وبال أمره، (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) ^(٢) كذلك عاقب به قوم لوط كما سنفصل لاحقاً.

● الصيحة (الصاعقة): التي عاقب بها ثمود (قوم صالح عليه السلام)، لما خالفوا أمر الله ورسوله، (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) ^(٣)، (وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتُهُمُ الصَّاعِقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) (٤) فَمَا اسْتَسْطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ) ^(٤).

● التيه: الذي عاقب به قوم موسى عليه السلام، عندما خالفوه وأعرضوا عن الجهاد، ودخول الأرض المقدسة، فحرّم الله عليهم دخولها أربعين سنة، فوقعوا في التيه والضياع في صحراء سيناء، يسIRON ليل نهار

(١) القصص ٧٨

(٢) القصص ٨١

(٣) القمر ٣١

(٤) الذاريات ٤٤

للخروج منها ولا يهتدون، (فإنها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي
الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)^(١).

- المسخ: الذي عاقب به بني إسرائيل، عندما عصوا أمر الله وخالفوا عهده
الذي أخذ عليهم، من تعظيم يوم السبت، فمسخهم إلى صورة القردة
والخنازير، (وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَلَمَّا لَّهُمْ كُوفُوا
قِرْدَةً خَاسِئِينَ)^(٢)، (قُلْ هَلْ أَنْبَأَكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ
اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ)^(٣).
- الجراد والقمل والضفادع: التي سلطها الله على آل فرعون، (فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا
وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ)^(٤).
- التدمير: الذي يعاقب به كل من يُعرض عن ذكر الله، ويرتكب الفواحش
والمنكرات، (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَدُوا فِيهَا فَحَقَّ
عَلَيْهَا الْقَوْلُ فدمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا)^(٥).
- الغرق: الذي أهلك الله به فرعون وقومه عندما عصوا موسى عليه
السلام فهاجر ببني إسرائيل، ولحق بهم فرعون وجنوده، (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ
وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ
وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)^(٦).

(١) المائدة ٢٦

(٢) البقرة ٦٥

(٣) المائدة ٦٠

(٤) الأعراف ١٣٣

(٥) الإسراء ١٦

(٦) القصص ٣٩، ٤٠

• تسليط الأعداء: الذي عاقب به بني إسرائيل، بان سلط عليهم فرعون يذيقهم سوء العذاب يقتل كل ذكر يولد لهم، ويبقي على البنات، ويستحي النساء، ويأمر باستعمالهم في أرذل الأعمال وأشقها، (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)^(١).

• الإصابة بالأوبئة الجديدة: التي عاقب ويعاقب بها كل مجتمع يشذ عن الطريق المستقيم، قال صلى الله عليه وسلم: "إن هذا الوجد أو السقم"^(٢) رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ثم بقي بعد الأرض فيذهب المرة ويأتي الأخرى..."^(٣). وقال "كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس، وأوعذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن، ما ظهرت الفاحشة (الزنا) في قوم قط، يعمل بها فيهم علانية، إلا ظهر فيهم الطاعون (الوباء)، والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم.."^(٤)، وقال "إذا استحلّت أمّتي خمساً فعليهم الدمار، إذا ظهر التلاعن، وشربوا الخمر، ولبسوا الحرير، واتخذوا القينات، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء"^(٥).

ويعد: أليس اكتفاء الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، هو الشذوذ بعينه؟ وهو الذي أثمر لنا أمراضاً لم تكن في أسلافنا، فهل الإيدز وما شابهه أمراض قديمة أو جديدة؟ إنها جديدة بما كسبت أيدي الناس جزاءً وفاقاً.

(١) البقرة ٤٩٠

(٢) السقم: الطاعون

(٣) صحيح البخاري

(٤) رواه الحاكم

(٥) رواه البيهقي

• حجارة من سجيل: وهي التي سلطها الله على قوم لوط، بعد أن دمر قراهم لأنهم أول من سن اللواط على ظهر البسيطة، كما عاقب بها أبرهة الحبشي عندما جاء لهدم الكعبة. ولكي ندرك بشاعة جريمة اللواط، هو العقوبة التي حاقت بقوم لوط، يحسن بنا أن نعرض لقصتهم سريعاً لكي نطلع على مصرع الذين غضب الله عليهم، ليكون في ذلك عبرة لقوم يعقلون، وتتخلص قصتهم في أنهم أدمنوا ممارسة اللواط، فأرسل الله لهم نبيه لوطاً عليه السلام (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ)^(١) فأجابه قومه إجابة منكرة، إجابة كل مجتمع يسمى التدين رجعية وتعصباً، والظهارة جريمة يستحق فاعلها النفي بسببها، (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)^(٢) واستشرى الشذوذ وصار يمارس علانية في أنديتهم، كما هي الحال في العالم الغربي اليوم، وطفح الكيل فلا حوار لوط معهم يجدي، ولا إقناعه لهم بالتزوج من النساء يفيد، وقالوا له في صلف (انْتِنَا بَعْدَآبِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)^(٣). فرتبت السماء الأمر، وأرسل الله وفداً من ملائكته، برئاسة جبريل، عليه السلام، في مهمة مزدوجة حيث توجهوا أولاً إلى أبي الأنبياء إبراهيم يحاورونه في شأن قوم لوط، واحتمال رجوعهم عن غيهم، ولكن الملائكة بينت له أن الله قد حسم القضية (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ)^(٤) ثم خرجوا من عنده قاصدين قوم لوط، هيئة شباب مشرقة

(١) النمل ٥٤

(٢) النمل ٥٦

(٣) العنكبوت ٢٩

(٤) هود ٧٦

وجوههم، وسمة خلقتهم، والتقوا بنبي الله لوط على مشارف سدوم، وهو يجهل حالهم، فلما عرف أنهم ضيوفه وضع يده على قلبه، وكتم أنفاسه وتمتم قانلاً (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ)^(١) وظل طوال الطريق يعرض عليهم أن ينصرفوا عنه، قانلاً والله ما أعلم على وجه الأرض أهل بلد أخبث من هؤلاء، وتستمر الملائكة في صحبته، لتنفيذ أمر الله. ودخلوا بيته، وما أن أخذوا مجالسهم، حتى أسرعن زوجته الكافرة، إخبار القوم بهذا الصيد الثمين قائلة لهم، إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط، فهرعوا كالمجانين، وعسكروا حول الدار، وحاول لوط إقناعهم واستثارة أحاسيس الشفقة واستجاشة مشاعر الرجولة عندهم دون فائدة، (قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطَهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِي فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ)^(٢) لكنهم أجابوه بكل (صفاقة)، (لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ)^(٣) وتأزم الموقف، وانتاب الحزن الشديد قلب نبي الله لوط، ويكشف الضيوف عن حقيقتهم ويطلبون إليه مغادرة المكان، (فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)^(٤) وبقيت حشودهم على الباب، فخرج عليهم جبريل، وضرب وجوههم بطرف جناحه، فطمس على أعينهم، فرجعوا إلى بيوتهم يتخبطون الطريق، وجاء الصبح، الصبح الموعد، فاقتلع قراهم، ورفعها على علياء السماء، وجعل عاليها سافلها، ثم تتبعت الطير من لم يكن منهم في هذه القرى، تمطرهم

(١) هود ٧٧

(٢) هود ٧٨

(٣) هود ٧٩

(٤) هود ٨١

بحجارة مصنوعة من طين مشوي، مختوم على كل منها اسم صاحبه، يحمل الطير منها ثلاثة أحجاراً، حجراً في منقاره واثنين في رجليه ترمي بها قوم لوط، فبينما يكون الواحد منهم بين الناس، إذ تسقط عليه هذه الحجارة فتهلكه، حتى انتهتهم عن آخرهم (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ)^(١).

وهكذا طوى الله سبحانه صفحة من صفحات المفسدين في الأرض، وترك لنا بعض آثارهم (منطقة البحر الميت)، لعلها تكون عبرة وعظة لقوم يعقلون، (وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)^(٢).

وبعد: ألسنت ترى معي أن المجتمعات الغربية تحذو حذو قوم لوط حذو النعل بالنعل! فما المانع أن يصيبها ما أصابهم؟؟ لا تعجل فسيصيبها، أليس الصبح بقريب؟ وربما أسلحة لا يعلمها إلا الذي سيسلطها عليهم، وما الكوارث والأوبئة الجديدة وما يختزنه المعسكران، من أسلحة الفتك والدمار، إلا إرهابات تنذر بذلك، فهل من مدكر؟؟

(١) هود ٨٢، ٨٣

(٢) العنكبوت ٣٥

الإيدز طاعون الشذوذ

تمهيد

لقد اجتمعت لهذا المرض والفيروس المسبب له، خصائص وصفات غريبة جعلت منه أمر غير عادي، حار به الخاصة، وأرعب العامة، حار به الخاصة، لما عرفوه من طرق انتقاله، وكيفية عمله، وسرعة تكاثره، والتغير السريع الذي يطرأ عليه وآثاره المدمرة على الفرد والمجتمع، واختياره العجيب لأهم أجهزة الجسم (جهاز المناعة)، ثم الغموض الذي يكتنف بعض أعراضه وأطواره، والوهن المريع الذي يؤول إليه المريض، حتى تصبح أضعف الجراثيم مؤهلة للقضاء عليه. وأما رعب العامة الذي بلغ درجة الهستيريا، فسببه جهلهم المطبق بالمرء، وكيفية العدوى به، وسرعة فتكه، والنهاية المفجعة للمصابين به، وكلفة المعالجة وعدم جدوى العلاج، ثم اختياره لأعز شهواتهم طريقاً لإصابتهم بالمرض، أضف إلى ذلك الضجة الإعلامية التي رافقت الإعلان عنه. ومن هذه الخصائص والصفات ما يلي:

أولاً: إتلاف جهاز المناعة:

لو تعرض أي جهاز من أجهزة الجسم إلى تلف ما، نتيجة إصابته بأي ميكروب، فإن جهاز المناعة في الجسم، يتصدى له، ويقوم بواجبه، إلا في الأمراض الجنسية (الإيدز)، أما أن يحصل التلف في جهاز المناعة نفسه، فهي الطامة الكبرى، فإذا عرفت أن فيروس الإيدز، لا يتلف من الجسم إلا جهاز المناعة، أدركت حسن اختياره، وخطورة الدور المناط به، فاختياره لجهاز المناعة في الجسم، ليدمره بسرعة فائقة، وبهذه الوسيلة، ليس عفواً ولا مصادفة ولا عبثاً، وبعد أن يتم تدميره، يتعرى الجسم من أي نصير أو

معين، فيصبح فريسة سهلة لأبسط أنواع الجراثيم وأحقرها، تنقض عليه وتسبب له تلفاً ودماراً، وهي ما كانت لتستطيع ذلك لو أن جهاز المناعة ووسائل الدفاع الطبيعية فيه سليمة، وهكذا يكون فيروس الإيدز، قد اختار في الإنسان مقتلاً محققاً.

ثانياً: تغيير وظيفة السائل المنوي:

إن للسائل المنوي وظيفة حياتية مهمة جداً، حيث يوجد به مادة الحياة الأولى التي لا بد منها لتكاثر الجنس البشري وحفظ نوعه، لكن هذه الوظيفة تنقلب رأساً على عقب، عندما يُساء استغلالها، وتوظف في غير ما خلقت له، فيصبح السائل المنوي أداة لزرعة الموت والدمار، بدلاً من زراعة الحياة وعمارة الأرض، وهكذا أصبح السائل المنوي عند الشاذين، أداة لنقل الأمراض الجنسية وبالذات في مرض الإيدز، من شخص إلى آخر، حيث يوجد في الملتر الواحد منه ما يزيد على مليون وحدة فيروس من الإيدز، وكل وحدة كفيلة بإحداث هذا المرض عند ضحية جديدة، وهؤلاء إن قدر لهم العيش، فسوف لا تكون لهم القدرة على الإنجاب، نتيجة تلف ودمار أنسجة الحيوانات المنوية في أجسامهم.

ثالثاً: عدم القدرة على صناعة طعم واق منه:

إن هذا الفيروس لا يكاد يستقر على حال معينة، فهو في تغيير مستمر، حيث ظهرت منه ذرات مختلفة ومتفاوتة، تختلف خصائص كل منها عن الأخرى، وقد ظهر منه أكثر من مئة ذرية إلى الآن^(١). وقضية استقرار أو عدم استقرار ميكروب ما على حال معينة، أمر في غاية الأهمية، فيما يتعلق

(١) د. هسلتاين، جامعة هارفرد (١٩٨٥).

بصناعة وتطوير طعم واق منه، فالفيروس المتغير لا يمكن صناعة طعم واق منه، لن الطعم الذي صنع لذرية منه في حالة ما، لا يمكن أن يصبح واقياً منه حالما يتغير، فاحتمالية وقاية الطعم الذي يحضر لذرية ما من الإيدز، كاحتمالية إصابة هدف سريع جداً في علياء السماء ببندقية صيد وهكذا، ما يمكن أن يُطور له طعمن اليوم، لا يكون واقياً منه في الغد، وبالتالي يذهب ما عُمِل سدى دونما فائدة، وقد ذكر أن سرعة تغير فيروس الإيدز، هي أكبر ألف مرة من سرعة تغير أي فيروس عرف إلى الآن^(١)، وهذا يعني الحكم بالفشل على أية محاولة لصناعة طعم واق منه.

ومع يقيننا أن محاولة صناعة طعم لهذا المرض وأمثاله، إنما هي مغالطة يجب أن ينتبه لها علماء الطب والاجتماع إذ من شأن نجاح هذه الجهود -إن نجحت- أن تشجع الشذوذ والإباحية، والإدمان على المخدرات، طالما تم استحضار ما يحميمهم، من هجمة هذا المرض الشرس، ويجدر بهم أن يصرفوا جهودهم هذه لمجتمعاتهم، فيؤكدوا للشباب أن الشذوذ جريمة تؤدي بهم إلى نهاية مفاجئة، وأن يقدموا لهم البديل الذي يشبع غرائزهم وطاقتهم الجنسية، بعيداً عن هذه المآسي، ودون كبت مرذول، أو انطلاق مجنون، كما عليهم أن يوجهوا أنظار أولي الأمر، إلى أن هذه الأمراض ثمرة طبيعية للفوضى الجنسية التي تعيشها شعوبهم، وإنها أمراض اجتماعية قاتلة، نتيجة بُعد مجتمعاتهم عن هدى السماء.

رابعاً: عدم فعالية الأجسام المضادة:

إن الأجسام المضادة عند الإنسان، تعد بمئات الآلاف في الملتر الواحد من الدم، وهي ذات أهمية بالغة له، وذلك لقدرتها الفائقة على تعطيل

(١) المرجع السابق.

الميكروب المهاجم، فهي تتحد معه، وتعرقل سيره، وتجهز لنن يلتهم التهاماً من قبل كريات الدم البيضاء، لتتدف بها خارج الجسم، وهكذا خلقت هذه الأجسام المضادة، لتحمي جسم الإنسان مما قد يتعرض له من ميكروبات، أما الأجسام المضادة عند مريض الإيدز، فلا تفيده في الحماية من هذا المرض، إذ أنها لا تتحد مع فيروس الإيدز، ولا تعرقل سير عمله، وبالتالي فهي عنده فاقدة لما خلقت له أصلاً.

أضف إلى ذلك، أن هناك نوعاً آخر من الأجسام المضادة، يسمى الجسم المضاد المعادل، (Neutrilizing Abs) وهو مهم جداً في الالتهابات الفيروسية بالذات، إذ أن وظيفته معادلة وحدات الفيروس المهاجم، بحيث لا تعود الوحدة منه، قادرة على إنشاء المرض في الجسم، وإن كانت لا تقتله بل يبقى حياً ولكنه مشلول تماماً، في حين أن الأجسام المضادة المعادلة عند مريض الإيدز، فاقدة لوظيفتها كذلك، وهكذا يبقى الفيروس يسرح ويمرح، دون أن يعترضه أي نوع من الأجسام المضادة يقتله أو يعادله، وبذا يبقى المريض معدياً (Infective)، كما يبقى سير المرض عادياً دونما انتباه لمثل هذه الأجسام المضادة^(١).

خامساً: ضنك العيش:

لقد ظهر هذا المرض من لا مكان^(٢)، أنطلق الفيروس المسبب له من عقاله، هذا ما يؤكد العلماء المختصون في هذا المجال، فلا أحد يعرف كيف بدأ، ولا من أين يأتي، وكل ما يتصور عنه أنه موت محقق ينتظر المصابين به، وهو حيارى في تقدير الأعداد الحقيقية للمصابين بفيروس المرض، لذلك

(١) د. فيكتور دانيال (١٩٨٥).

(٢) د. فيكتور دانيال (١٩٨٥).

فهم من ترقب مستمر، وحذر شديد، تستوقفهم أية ظاهرة أو طارئ أو تطور، وقد تعدهم الرعب والخوف إلى العامة، حتى بلغ درجة لا يقرها علم ولا طب، فهو طامة عامة، أصابت الجميع بالرعب والهلع حتى أصبح كل منهم، كآته من الذين يحسبون كل صيحة عليهم، ويزداد الخوف والرعب والقلق كلما تذكروا أن لا علاج له حتى الآن (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا)^(١).

سادساً: الإيدز يتحدى الطب إذ لا علاج له:

الإيدز من أكبر التحديات للطب الحديث، فها هم المصابون به يموتون أمام الأطباء، في ريعان الشباب، دون أن يتمكن هؤلاء من إنقاذهم، والأذى أنه ربما يموتون بعض هؤلاء، بطفيل حقير لم يكن الطب يحسب له يوماً أدنى حساب، انتهز فرصة تلف جهاز المناعة عند المريض، فانقض عليه كالأسد، ليضع حداً لحياته، ونهاية وجوده، وهكذا عادت الأمراض الطفيلية، التي تم القضاء عليها من زمن بعيد، إلى الظهور ثانية في عواصم الطب في العالم، كنيويورك وكاليفورنيا وسان فرانسيسكو ولوس انجلوس ولندن وباريس وغيرها، فهي رغم ضعفها تبقى سيفاً مسلطاً على رقاب الشاذين في كل زمان ومكان. ومما زاد الطين بله، انه أصبحت العلاجات المعروفة بالإنذانات الانتهازية، لا تفي بالغرض منها، في غياب الدور المطلوب من جهاز المناعة عند المريض، هذا ما ذكره الدكتور "دوارد براندت" الرجل الثاني في وزارة الصحة الأمريكية، في معرض تقديمه لكتاب الإيدز، الذي ألفه مجموعة من العلماء، لهم باع طويل في موضوع الإيدز عام ١٩٨٥، - ومنعهم مكتشف فيروس الإيدز نفسه- حيث قال: "إننا سنكون قصيري النظر

(١) طه ١٢٤.

إذا لم نتعلم من انتشار مرض الإيدز بهذه الطريقة درساً عنوانه أن العلم وحده لا يكفي^(١).

سابعاً: الآثار الاقتصادية المدمرة:

احتل مرض الإيدز الدرجة الأولى، من اهتمامات وزارة الصحة الأمريكية، وأصبح شغلها الشاغل، هذا ما أعلنته الوزارة بنفسها، وقد خصصت ميزانية ضخمة، بلغت (١٣٠) مليون دولار، للأبحاث المتعلقة به، وأقامت خمسة وخمسين مركزاً، خاصاً للاستشارات والمعلومات المجانية المتعلقة بهذا المرض في مدنها الرئيسية، بالإضافة إلى تقديم فريق طبي ليعمل في المركز الخاص التابع لمنظمة الصحة العالمية في هذا المجال، كما عقدت العديد من المؤتمرات الدولية، وأصدرت النشرات الدورية المتعلقة بهذا المرض، أضف إلى ذلك أنها قررت فحص الدم قبل أن يعطى لمحتاجيه، اعتباراً من ١٩٨٥/٥/١ وكذلك فحص المشبوهين، وفحص الجيوش الذي يوشر به الآن حيث أن ٢,١ مليون جندي أمريكي قيد الفحص، هذا بالإضافة إلى أن تكلفة التشخيص والعناية بأول ٣٠٠ حالة إيدز في أمريكا، بلغت ١٨ مليون دولار ومع ذلك ماتوا جميعهم^(٢)، ويذكر الدكتور "كيفن" في كتابه عن الإيدز (١٩٨٤) أن تكلفة المريض الواحد تُقدر بـ ١٠٠,٠٠٠ دولار، لذا فقد كثير من هؤلاء المرضى، حقهم في التأمين الصحي، مما اضطرهم إلى بيع بيوتهم، لاستعمال أثمانها في العلاج منه، وتقدر هيئة مراكز مكافحة

(١) AIDS , etiology, diagnosis, treatment and Prevention (1985)

(٢) ذكر الدكتور "بيفر" - رئيس قسم أبحاث الإيدز الدولية في أمريكا- أن تكلفة مرض الإيدز في أميركا لعام ١٩٨٦ ستصل إلى عشرة بليون دولار. جاء ذلك في الندوة الخاصة التي عقدتها معه نقابة الأطباء الأردنيين في عمان عبر الأقمار الصناعية بتاريخ ١٩٨٦/١/٢٨ وكان المؤلف أحد أعضاء اللجنة التي أختيرت لمناقشته.

الأمراض، أن الكلفة المطلوبة لعلاج الحالات الجديدة هذا العام، تقدر بـ ٣٣٦ مليون دولار، إضافة إلى ١٠٠ مليون دولار لتنظيم برنامج فحص الدم قبل نقله للمحتاجين، أو استعماله في صناعة بعض العلاجات.

كل هذا يعكس إحساس أمريكا بخطورة هذا المرض، وحجم الأعباء المادية اللازمة لتخفيف وطأته، ولو أضفت إلى هذه الأعباء، تكاليف الاحتياطات والتدابير المتشابهة، في كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا واليابان وغيرها من دول العالم، التي باشرت جميعها أخذ الحيطة، ووضع التدابير اللازمة للوقاية منه، لكانت الضريبة التي تدفعها البشرية ثمناً للفوضى الجنسية التي تعيشها هائلة، وهائلة جداً.

ثامناً: طريقة الانتقال:

جراثيم الأمراض المعدية غير الجنسية، يمكن لها أن تعيش خارج الجسم، وتنتقل للإنسان بشتى الطرق، فجراثيم الدفتيريا والكوليرا والتيفويد والانفلونزا مثلاً، تنتقل إلى الإنسان بواسطة الماء أو الهواء أو الطعام، في حين أن فيروس الإيدز، لا ينتقل في الغالبية العظمى، إلا عن طريق الشذوذ، سواء أكان جنسياً أو إدماناً على المخدرات وهذا تقرير وزارة الصحة الأمريكية (أكتوبر ١٩٨٥) ينفي علاقة الهواء والطعام والملابس، والشرب والفراش والحمام، والمصافحة وملازمة المريض دون اتصال جنسي، بنقل هذا المرض، وهكذا تختلف طرق العدوى بمرض الإيدز، عن سائر الأمراض المعدية غير الجنسية، إذ أنها لا تنتقل في الأعم الأغلب، إلا بواسطة الشذوذ، في حين تنتقل جراثيم الأمراض الأخرى عن أية طريق، وبذا يكون هذا المرض شاهداً ودليلاً على سلوك صاحبه المغاير للفطرة والذي يستوجب العقاب.

تاسعاً: الإزدواجية والتعددية:

إن وصول جرثومة الدفتيريا أو الكوليرا أو التيفونيد أو الانفلونزا مثلاً، إلى جسم الإنسان يعني، إصابته بالمرض الذي تسببه هذه الجرثومة فقط، أما وصول جرثومة أي مرض من الأمراض الجنسية إلى جسم الإنسان، يعني إصابته بالمرض الذي تسببه هذه الجرثومة، بالإضافة إلى أنه يمكن أن يكون معها في الوقت نفسه عدد من الجراثيم الأخرى التي تسبب كلاً منها مرضاً جنسياً مختلفاً، وربما يصل ذلك إلى خمسة أنواع، وهاهم مرضى الإيدز مثلاً، يصابون بالعديد من الأمراض الجنسية المتكررة.

ويذكر الدكتور "مورتن" أخصائي الأمراض الجنسية، أن ثلثي المصابات بمرض السيلان، يعانين في الوقت نفسه، من وجود ترايكومونياسيس وأن (١٠٥) من أصل (٢٢٥) مريض بقمل العانة، والجرب والكانديدياسيس والتهابات الإحليل المختلفة، ويذكر أيضاً، أن خمسة أمراض جنسية يمكن أن تجتمع في المريض نفسه، وهذا ربما ينقلها كاملة إلى غيره، مع كل اتصال جنسي جديد وهكذا، فهي حلقة متصلة من البلاء يسلمها السابق إلى اللاحق ما داموا يعيشون الفوضى الجنسية^(١)، فغالبية مرضى الإيدز، يعانون من العديد من الأمراض الجنسية والانتهازية، وبذا ينطبق عليهم المثل الانجليزي القائل، "إن سوء الحظ لا يأتي وحيداً".

عاشراً: القتل البطيء:

العقوبة التي تحيق بالإنسان، وتقتله فوراً، هي أقل إيلاًماً لنفسه من تلك التي تُذيقه من العذاب قبل أن تقتله، والأمراض الجنسية بشكل عام،

(١) الأمراض الجنسية عقوبة آلهية/ للمؤلف.

والإيدز بشكل خاص، من هذا النوع، فهي بالأمها النفسية وعذابها الجسماني، تقتل صاحبها ألف مرة قبل أن تؤدي إلى موته، لها فهي توصف أحياناً، بأنها معذبة أكثر منها قاتلة، فالشاذ الذي مارس الجنس، أو تناول المخدرات بالوريد ولو مرة واحدة، يبقى في قلق دائم، يصغى لكل ما يقال عن المرض، وتستلقت نظره كل ظاهرة فيجسمه، ويهزه كل عارض يحس فيه، فيقتله الوسواس، وفي أعماقه سؤال حائر هل أصيب بفيروس الإيدز أم لا؟ وسواء ظهرت أم لم تظهر أعراض الإصابة بالمرض، أو تكرر ظهورها واختفاؤها، يبقى الشاذ في حالة ترقب وانتظار، فإذا تأخر ظهورها أو اختفت، يظن أنه قد شفى وسلم، ثم يفاجأ بظهورها. وقد تستمر أعراض المرض بالظهور والاختفاء، في بعض الأمراض الجنسية رداً من الزمن، فيبقى المريض معلقاً في الفراغ، فلا هو طريح الفراش، ولا هو بالسليم المعافي.

الفصل الثاني عشر

الوقاية خير من العلاج

- العلاجات الآتية

- العلاجات الجذرية

الوقاية خير من العلاج

تمهيد

درهم وقاية خير من قنطار علاج، قول قديم تزداد قيمته مع الزمن، وتؤمن به النظريات الطبية الحديثة أكثر من أي وقت مضى، ولكن لسوء الحظ، لا يفتن له الناس إلا بعد فوات الأوان، فالشذوذ مثلاً، رغم أنه مغاير لكل التعليمات السماوية، وللذوق السليم، لم تفكر المجتمعات في العزوف عنه، إلا بعد استشرى بها الإيدز، فندم الناس في وقت لا ينفع في الندم، وطفقت السلطات الصحية، تبحث عن العلاجات، وتصدر القوانين والتعليمات، التي تنظم العلاقة مع المصابين، لإيقاف زحف هذا المرض ولتخفيف وطأته على تلك المجتمعات.

وعند النظر إلى هذا المرء، والتعرف على ضحاياه، وكيف يقتلهم، بالإضافة إلى عدم توفر العلاجات، رغم التقدم الطبي، وعدم فعالية العلاجات المتوفرة للإنتانات الانتهازية، لغياب دور جهاز المناعة في جسم المصاب، ثم النهاية التي أصبحت حتمية. لكل من يصاب به، نرى فيه ما لا يراه غيرنا، لذا نرى طرق علاجه والوقاية منه، تختلف عن الطرق المتبعة حالياً، إذ تؤمن بالحلول الكلية لا الجزئية، لأن الحل الجزئي مهما كان قيماً، يبقى رقعة في ثوب بال، والإنسان بنظرنا كل متكامل يجب النظر إليه، نظرة شمولية موضوعية، ولتوضيح ذلك نقسم العلاجات والإجراءات الوقائية إلى قسمين:

الأول: العلاجات الآنية وهي التي يوصي بها الطب الحديث.

الثاني: العلاجات الجذرية وهي التي أوصت بها التعاليم السماوية.

العلاجات الآتية

تمهيد

مرضى الإيدز بحاجة إلى معالجة ومراقبة مركزة، فهم يمضون وقتاً طويلاً في المستشفيات، فما أن يخرج أحدهم منه بعد أن يتمثل للشفاء من مرض ما، حتى يعود إليه ثانية للمعالجة من إنتان إنتهزي آخر، لذا فهم بين دخول وخروج لمدة تتراوح بين (١-٣) سنوات، تنتهي بالوفاة. لهذا فإن علاج المصابين به مكلف جداً، إذ أن المريض الواحد يكلف بين (٥٠٠,٠٠٠ - ١٠٠٠,٠٠٠) دولار، وقد بلغت مصروفات العلاج والمراقبة في بريطانيا ودها- وهي لا تساوي إلا جزءاً قليلاً من كلفته في أمريكا- حوالي ٢٠ مليون جنيه استرليني سنوياً.

ويمكن تصنيف الخدمات التي تقدم لمرضى الإيدز في المستشفيات إلى قسمين: علاجي؟، ووقائي.

أولاً: القسم العلاجي: وهو موجه إلى الأمور التالية:

١- علاج الإنتانات الإنتهازية:

وهذه تنقسم من حيث توفر العلاج لها إلى نوعين: فمهما ما له علاج معروف، ولكنه يحتاج إلى مدة طويلة، يعاني المريض أثناءها آلاماً حادة، ومضاعفات جانبية أكثر إبلاماً، حتى أن المريض يرفض أحياناً، أخذ الحقن من شدة ألمها ومضاعفاتها، ومع ذلك لا تقوم هذه العلاجات بفعاليتها المطلوبة، لغياب مساعدة جهاز المناعة عنده، والنوع الآخر منها، لا علاج له إلى الآن، مثل الالتهابات التي يسببها طفيل كربتوسبوريديم، الذي يسبب إسهالات شديدة للمرض، والالتهابات التي تسببها جرثومة شبيهة بجرثومة

السل وتسمى (*Mycobacterium avium intracellulare*) كذلك الإصابات التي تسببها فيروسات (E.B. V) و (C.M.V).

٢- علاج سرطانات الجلد والأنسجة الضامة (Kaposi Sarcoma):

الأطوار الأولى لهذا السرطان، يمكن أن تعالج جراحياً أو بواسطة الأشعة، أما الأطوار المتقدمة منه، فلها علاجات أخرى، ولكن لها مصادر جانبية كبيرة حيث تزيد في تلف جهاز المناعة عند المريض، وبالتالي تزداد فرصة الإيدز، والإنتانات الانتهازية الأخرى، وأفضل هذه العلاجات إلى الآن، وأقلها ضرراً هو ما يسمى انترفيرون (*interferon*)، لكن سينتها الرئيسية أنها مكلفة جداً، والأبحاث جارية الآن، لاستحداث طرق لتصنيعها بكميات تجارية تكون كلفتها المادية مقبولة.

٣- محاولة علاج فقدان المناعة:

كما ذكرنا سابقاً، فإن فيروس الإيدز، لا يُتلف من الجسم إلا الخلايا اللمفاوية المنشطة، فوجوده داخلها، يجعل من الصعب جداً التخلص منه، إذ لا يوجد حتى الآن علاج بعيد بنيان جهاز المناعة التالف، إلا أن المحاولات لا زالت جارية بشكل حثيث لإيجاد علاج لذلك، ومع أن الأمل ضعيف، إلا أن العلماء يعتقدون بعض الآمال، على مادة الانترفيرون، ومادة انترليوكن ٢ (*Interleukin II*) المنشطة للخلايا اللمفاوية، وبعض الهرمونات (*Thymosin*)، وكذلك استخدام طريقة الحماية السلبية، وذلك بحقن المريض بأجسام مضادة جاهزة الصنع، وهي لا زالت آمالاً قيد البحث، وإن نجحت فإن فعاليتها ليست طويلة.

٤ - محاولة منع فيروس الإيدز من التكاثر داخل الخلية:

ربما تؤثر بعض الأدوية على فيروس الإيدز، بأن تمنع تكاثره داخل الجسم، ولكنها لا تستطيع إصلاح ما قد تلف منه، وقد ثبت أن الفيروس، يستعيد نشاطه، ويكمل مشواره حال زوال أثر العلاج. وقد جريت عليه مادة (Phosphono Formate)، في المختبر - خارج جسم المريض - وكان لها فعالية جيدة عليه، ولا يعرف إن كان لها نفس الأثر عليه داخل الجسم. كما جريت عليه أيضاً مادة (HPA-23) وأعطت نتائج جيدة إلا أن لها مضاعفات جانبية على المريض.

وتجرب الآن تجارب عديدة في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وعدة دول أوروبية، على مادة (Inosine Pranobex)، وهي مادة منشطة للمناعة، ومضادة للفيروس، وذلك لكشف مقدراتها الفعلية، على منع تكاثر الفيروس في جسم المصاب، وهناك توجه الآن، لأخذ نخاع العظام (Bone Marrow)، من إنسان سليم وزراعته في جسم مريض الإيدز، وذلك لصناعة خلايا منشطة داخل جسم المريض، تعوضه عما تلف. نخلص من كل هذه المحاولات، إلى القول: أنه لا يوجد علاج شاف من هذا المرض حتى الآن، لذا توجهت أنظار العلماء والسلطات الصحية في الغرب، إلى وضع تعليمات عامة للحد من انتقال المرض، وهم يعتقدون عليها أمالاً أكثر مما يعلقون على العلاج.

ثانياً: القسم الوقائي:

ليس كل من أصيب بفيروس الإيدز تظهر عليه أعراض المرض وإن أصبح معدياً لغيره، ونسبة الذين تظهر عليهم أعراض مرض الإيدز قليلة جداً جداً إذا ما قورنت بالذين لا تظهر عليهم وخطورتهم على المجتمع أقل بكثير

منهم إذ يحترز الناس منهم ويتجنبونهم إلى أبعد الحدود، في حين لا يحترزون من الذين لا تظهر عليهم أعراضه، وهؤلاء يستمرون في نشر المرض وسط المجتمع الذي يعيشون فيه، دون تحفظ أو احتراز، أضف إلى أن المريض من النوع الأول، يقضي أغلب أيامه في المستشفى، فيكون وجوده به بمثابة عزل صحي له. فيتجنب عدواه، في حين لا مبرر لوجود النوع الثاني في المستشفى وبالتالي لا ينالهم العزل، الذي يمارس على النوع الأول.

ولكل نوع منهم طريقة خاصة في المعاملة، لتخفيف خطورته على الآخرين، فالمصاب الذي ظهرت عليه أعراض المرض، يمنع من التبرع بالدم، أو بأي عضو من أعضاء جسمه، كما يمنع من الاتصال جنسياً بغيره، ومن مشاركة غيره، فرشاة الأسنان، أو الحلاقة، أو شفرة الحلاقة، وكل ما من شأنه أن يتلوث بدمه، كما يمنع من تحضير الطعام والشراب إلى الآخرين، كما يجب - للحيطة - وضعه في غرفة خاصة في المستشفى، يتوفر فيها كل ما يحتاجه من مغسلة وحمام، بحيث لا يستعمله غيره، ويجب تنظيف أشيائه الخاصة بالمطهرات، لأن بولته وجميع سوائل جسمه، مملوءة بفيروس المرض، كما أنّ على الطاقم الطبي الذي يشرف على علاجه، أخذ الحيطة والحذر، ولبس القفازات المطاطية، ويجب الاحتياط إلى الدم الذي يسحب منه للفحص المخبري، بحيث لتأ يسحب منه أكثر من المطلوب، مع وضع لاصقة تفيد أنه أخذ من مريض بالإيدز، وللعلم فإنه لم تثبت أية إصابة به، بين أي من أفراد الأطقم الطبية المختلفة، التي تتعامل مع المصابين به في العالم.

أما النوع الآخر، وهم الذين لم تظهر عليهم أعراض هذا المرض، وإنما ظهرت في دمهم أجسام مضادة لفيروس الإيدز، وهذا لا يعني بالضرورة أنهم مصابون به، ولكن من الأحوط التعامل معهم، على أن فيهم خطورة أكيدة

على المجتمع، وأعداد هؤلاء كبيرة جداً بحيث يصعب إحصاؤهم، لأن الشادين جنسياً، ومدني المخدرات بالحقن، كلهم معرضون للإصابة، وأعداد هؤلاء ربما تصل إلى عشرات الملايين في العالم، لذلك وضعت السلطات الصحية في الغرب، توصيات عامة ربما ستساعد إلى التقليل من الإصابات الجديدة، إذا طبقت وهي:

١. فحص كل وحدة دم قبلها للمحتاج، وذلك للتأكد من خلوها من الإيدز، وقد بوشر في ذلك في الولايات المتحدة، اعتباراً من ١٩٨٥/٥/١، كما بوشر في بريطانيا وفرنسا وكثير من دول أوروبا.

٢. فحص كل من يرغب بالتبرع بالدم أو بأي عضو من أعضاء جسمه، لإثبات خلوه من الإيدز.

٣. تنصح كل شاذ جنسياً، بأن يقصر علاقاته الجنسية، على أقل عدد ممكن.

٤. تجنب الاتصال الجنسي، عن طريق الشرج والفم.

٥. يجري لحاملي الفيروس، من الفحوصات الطبية ما يجري لمرضى الإيدز، باستثناء العزل في المستشفيات، وهكذا يستمر فحصه، ومراقبته طبيياً حتى يكتشف أمره، عند أول تطور.

٦. تنصح زوجات المصابين به، أو حاملي فيروس هذا المرض، بعدم الحمل لأنهن واطفالهن معرضات للإصابة به مستقبلاً.

هذه التوصيات متبعة حالياً في الغرب، وقد عممتها السلطات الصحية على المواطنين، كما أقرتها منظمة الصحة العالمية، وأعتقد أنها لن تحل المشكلة، ولكنها ستحد من الانتشار السريع لهذا المرض، لأن كل هذه التوصيات والإجراءات، هي علاج أعراض لا علاج أمراض، والعلاج الناجح بنظرنا لهذه المشكلة ومثيلاتها، هو إعادة النظر بالقوانين التي تحمي الشذوذ،

وتشجع عليه، والتعلق بهدي السماء، الذي نظر للإنسان نظرة شمولية،
تتعامل معه بكل جزئيات حياته، وتضع لها حلاً حذرياً.

العلاجات الجذرية

تمهيد

الحضارة عملة ذات وجهين متكاملين، وجه مادي، قوامه التقدم المادي الملموس. ممثلاً بالصناعات المشاهدة المحسوسة، التي تفتقت عنها عبقرية الإنسان، ووجه روحي قوامه مجموعة القيم والعادات والأعراف، التي يعيشها الإنسان، ويضبط بها ما انتهت إليه عبقريته من صناعات، لتسهم في سعادته، وهذه القيم، قد تكون من صناعة الناس، أو من صناعة خالق الناس، فإن كانت من صناعة الناس، فهي ناقصة مبتورة، لأنها نتاج عقل محدود يعتريه الهوى والميل والنقص والنسيان وهي وإن أسعدت صانعها ومن حوله رداً الزمن فإنها لن تسعد الجيل الذي يليه، لذا فهي مبتورة ومصيرها إلى زوال. أما إن كانت من صناعة خالق الناس، فهي أشمل وأكثر ديمومة،، لأنها تنظر للإنسان نظرة شمولية فتعالج كل جزئية وكلية في حياته وهي سهلة سهولة فطرة الإنسان وبساطتها، وبالتالي طالما أسعدته فلا حاجة به إلى تغييرها.

وهكذا إذا تفتيا الإنسان خلال حضارة، توافر لها هذان الركبان معاً، فإن حياته تكون سعيدة على ظهر هذه الأرض، أما إذا تخلف أحدهما، فإنه سيشفى شقاءً مرأً، إذ لو تصورت غياب الركن المادي مثلاً، فمعنى ذلك، العودة بالمجتمع إلى البدائية المطلقة، ولو تصورت غياب الركن الروحي- كما هي الحال في الشرق والغرب- فغن مثل هذا المجتمع مهدد بالفناء في كل لحظة، ذلك لأنه يحمل في طياته بذور فنائه، فهذه الأسلحة الفتاكة التي تعج بها مصانع الشرق والغرب، قادرة على أن تحرق منات الكواكب مثل الكرة

الرضية، لذا لا بد من توافر الركنين، وتكاملهما معاً، وإلا كانت حضارة عرجاء مشوهة.

وبتقديرنا فإن غياب الركن الروحي، هو أخطر على البشرية ألف مرة من غياب الركن المادي، وبالتالي، ورغم تخلف الركن المادي في بلادنا الإسلامية، فإنه أن لمتنا أن ندرك أهمية الدور الذي يمكن لها أن تسهم به في صنع الحضارة على الأرض، وهو رصيدها من القيم الروحية التي تفتقد إليها البشرية جمعاء.

وقد تولت العناية الإلهية، تزويد الإنسان بما يُسعده في الدنيا والآخرة، على أيدي رسل وأنبياء بعثهم الله على مر الزمان، كان آخرهم وخاتمهم محمداً صلى الله عليه وسلم، بما حملته للبشرية من رسالة تصلح لكل زمان ومكان، وهدى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنه خاطب الإنسان بشقيه المادي والروحي، خاطب فيه العقل والروح معاً وأشبهما معاً حتى لا يعيش التناقض، فلم يترك العقل ينمو على حساب الروح، ولا الروح على حساب العقل، وبذا ارتقى به أن يهبط إلى مرتبة الحيوان، أو يتجاوز إنسانيته إلى عالم الملائكة.

وليس مصادفة أن تعبت شياطين الإنس والجن بالركن الروحي للحضارة البشرية، وذلك لأهميته البالغة، فعبثت به الصهيونية الساعية إلى تدمير البشرية، بنظريات وضعية من صنع ماركس وفرويد ودارون وغيرهم، ليدمروا الإنسان مادة الحضارة ومحورها، ليسهل لهم بعد ذلك قيادة البشرية. وعلى هدي هذه الرسالة السماوية، نتلمس الحل الجذري للبشرية المعذبة، بهذا الوباء وبغيره من الأوبئة، فنرى أنها تأخذ بكل الأسباب المادية

الصحيحة التي من شأنها الحد من انتشار هذه الوبئة وتضع التشريعات لاقتلاع الداء من جذره، فهي:

١- تحريم اللواط والإباحية. ٢- تحريم المخدرات. ٣- تحث على الزواج وتيسره.

أولاً: تحريم اللواط والإباحية:

اللوواط، هو قضاء الشهوة الجنسية مع نفس النوع، وهو ارتكاس في الفطرة، وانغماس في حماة القذارة، وإفساد للرجولة، وجناية على الأثوة، وانحراف بالشعور، يهبط بصاحبه إلى مرتبة بترفع عنها الحيوان، ولعل أسباب وبواعث هذا الحب الشاذ، راجع إلى الشذوذ في الغريزة الجنسية.

وقد أسلفنا أن اللواط مسؤول عن ٧٢-٧٥% من مجموع الإصابات بمرض الإيدز، وبالتالي فهو أوسع قنوات انتشار هذا المرض على الإطلاق، ولا يقف خطره عند هذا الحد، بل يتعداه إلى نشر العديد من الأمراض الأخرى، بالإضافة إلى آثاره السيئة، من تخريب للنفس والجسم والمجتمع، لهذا اجتمعت الشرائع السماوية على تحريمه، وقد انفرد عنها الإسلام بأمرين:

الأول: أنه هياً للمسلم كل السبل ليعيش حياة جنسية سليمة متكاملة، فرغب بالزواج المبكر، وحث على تيسيره، وجعله على نفقة بيت مال المسلمين في حالة العسرة، كما أطلق للذكر والأنثى حرية الاختيار، وأتاح لهما معرفة بعضهما بعضاً قبل الزواج، دونما خلوة أثم، وبعد ذلك إذا لم يحالفهما الحظ في الاختيار الأول، أباح الزواج الثاني والثالث والرابع، فإن استحال الحياة الزوجية، أباح لهما الطلاق في ظروف معينة.

والثاني: أنه بعد أن هياً كل هذه التسهيلات لحياة زوجية سعيدة مستقرة، لا يسوغ الشذوذ ولا يُفسره، إلا أنه نزعاً شريرة في نفس صاحبها،

يجب استئصالها من جذورها، لذا عاقب على هذه الجريمة النكراء بأشد العقوبات، حيث تتفاوت بين الحرق بالنار إلى الرمي من شاهق منكساً، ثم يُتبع بالحجارة على مرأى من الناس، وذلك تطهيراً للمجتمع من رجسه.

وقد عاقب الله سبحانه وتعالى، قوم لوط على هذه الجريمة، عقوبة مروعة، وتهدد كل مجتمع يفعل فعلتهم بأشد العقوبات (مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ)^(١)، وبلغ استنكاره لهذه الجريمة، أنه ذكرها وعقوبتها، في عشر سور من القرآن الكريم^(٢)، وقال صلى الله عليه وسلم "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به"^(٣).

هذه العقوبة الصارمة، وهذا التهديد العنيف لمرتكبي هذه الجريمة، راجع لآثارها الجسمية والنفسية، على الفرد والمجتمع، من نشر الأمراض الجنسية، إلى الانحطاط الخلقي، إلى نشر الفساد في المجتمع.

ثانياً: تحريم المخدرات:

المخدرات من الخدر، وهو الكسل والفتور، والمخدر، مادة تحدث خدرًا في الجسم بتناولها، في حين تحدث المسكرات نشوه وسروراً وقوة، وميلاً إلى البطش والانتقام، ومشكلة المخدرات، من القضايا الهامة والخطيرة في العالم، لذا اقتضى الأمر، التعرف عليها وعلى أخطارها وعواقبها، وأثارها على عقل الإنسان وجسمه، وعلى الأمة وأخلاقها، ثم رأى الإسلام بها. والمخدرات لم تكن معروفة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينزل بها تحريم تناولها بالاسم، كما هو الحال في الخمر، مما جعل

(١) هود ٨٣

(٢) الأعراف، هود، الحجر، الأنبياء، الفرقان، النمل، الشعراء، العنكبوت، الصافات، الساعة

(٣) رواه ابن عباس وأبو هريرة.

أعداء الإسلام، يذهبون إلى التشكيك في تحريمها، حتى أن بعض الجهلة، يُحرّم شرب الخمر، ويُقبل على تعاطي المخدر، فيهرب بذلك، من شر إلى ما هو أشد منه، ومن حرام إلى ما هو أكثر حرمة منه.

وقد قال صلى الله عليه وسلم "ألا وإن كل مسكر حرام، وكل مخدر حرام، وما اسكر كثيره حرّم قليله وما خامر العقل فهو حرام"^(١)، وقال "كل مسكر خمر وكل خمر حرام"^(٢)، وهكذا، فهي حرام ومن عموم الخبائث الواردة في قوله تعالى: (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)^(٣). ويُحد متناولها كما يحد شارب الخمر، لأنها تؤدي إلى ضرر في دين المرء، وعقله وخلقه وطبعه وجسمه، كما تورث صاحبها قلة الغيرة وزوال الحمية^(٤).

وقد اصطلحت الهيئات العلمية، على تقسيمها من حيث آثارها، إلى مخدرات منبهة، مثل الكوكائين، ومخدرات مسكنة مثل (أ) مشتقات الأفيون كالمورفين والهرويين والكودائين، (ب) مخدرات غير أفيونية كالحشيش، وتؤخذ عادة بالفم، أو بواسطة الحقن الوريدية وهي بكافة أنواعها، وعن أي طريق أخذت، تؤدي إلى غياب العقل، وفتور الهمة ويميل متعاطيها إلى الرغبة في النوم، كما تؤدي إلى تحطيم شخصية المدمن، وتسبب له ما يسمى بتفكك الشخصية، وتجعله فاشلاً في عمله. والمدمن متقلب العواطف، عديم التحكم في غرائزه، وأغلب المدمنين، مصابون بمركب النقص، ويميل كثير منهم إلى الشذوذ الجنسي.

(١) من كتاب الأشربة وأحكامها د. ماجد أو رقيه.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٢/١٣.

(٣) الأعراف ١٥٧.

(٤) الأشربة وأحكامها د. حامد أبو رقيه.

والمدمن إذا اشتد به الإدمان، يبدأ بالانحراف، فيكذب ويسرق ويغش ويقتل في سبيل الوصول إلى بغيته، ومن الملاحظ، أن لكل نوع من المخدرات، تأثيراً مستقلاً على الأخلاق، فتعاطي القات مثلاً، يؤدي إلى فقدان الإرادة والتفكير، في حين يؤدي تعاطي الكوكائين، إلى اضطراب العقل. والحقيقة أن مشكلة المخدرات خطيرة جداً، فقد اقتحمت أسوار العالم، ونظراً لخطورتها، فإنها محظورة دولياً، وتسعى الدول جاهدة للقضاء على هذه الظاهرة، إلا أن الأرقام تشير إلى زيادة في نسبة رواجها وإنتاجها وتعاطيها، والناس اليوم بحاجة إلى من يحميهم من التشرذم والضياع، بحاجة إلى عقيدة تملأ قلوبهم بالإيمان، وما ظاهرة زيادة تعاطي المخدرات، إلا علامة من علامات الخواء الروحي، الذي يعيشه إنسان القرن العشرين، الذي وإن كانت حضارته قد أراحته من كثير من الأعباء المادية، إلا أنها فشلت فشلاً ذريعاً في إدخال السعادة النفسية إلى قلبه، وما زيادة نسبة الجرائم بأنواعها، من انتحار وسرقة واغتصاب واعتداء على الأعراض والأموال، في أكثر البلدان رقياً وتقدماً مادياً، كأمريكا والسويد وغيرها، إلا شاهداً على ما نقول، وخير شاهد على أن حضارة القرن العشرين، هي حضارة عرجاء تقف على ساق واحدة^(١).

وقد أسلفنا الإشارة، إلى أن إدمان المخدرات، بواسطة الحقن الوريدية، يعتبر من أوسع قنوات انتشار مرض الإيدز، بعد اللواط، حيث بلغت نسبة الذين أصيبوا بالمرض، عن هذا الطريق ١٧% من مجموع مرضى الإيدز في العالم، كما أوضحنا كيفية انتشاره عن هذا الطريق.

(١) الأشرية وأحكامها د. ماجد أو رخبه.

ثالثاً: الحث على الزواج

الجنس عامل هام في حياة الإنسان، فهو سر بقائه وتكاثره على الأرض، فكما أن الحرمان من السلامة، يعرضه للخطر، والحرمان من الطعام يؤدي إلى الهزال فالموت، فإن الحرمان من الجنس يؤدي به إلى الكثير من الانحرافات الخلقية والعقلية والنفسية. وقد تناولت المذاهب السماوية والأرضية هذا الموضوع، باتجاهات مختلفة ومتناقضة^(١).

فبعضها غرق في الروحانية، وأغض عينيه عن غريزة الجنس في الإنسان، وتجاهل وجودها، وحبسها خلف أسوار عالية، وكتبها بقيود مطلقة، واعتبرها أمراً حيوانياً يجب التنزه عنه، كالبودية.

وبعضها أطلق لها العنان، دونما ضوابط أو حدود، وغرق بالمادية والشهوانية واعتبر الجنس كل شيء في الحياة، وأنه يجب أن يكون مشاعاً لمن يشاء، متى شاء وكيف شاء، غلا يعرف الإنسان في ظلها بيتاً يلجأ إليه، ولا أسرة يحن إليها، ولا حرمة يدافع عنها، كالشيوعية.

أما الإسلام فقد جاء وسطاً بين المذهبين، فهو ينظر للجنس بواقعية ومثالية في آن واحد، وينظر للإنسان كبشر لا كملك، فاعترف له بغريزة الجنس واصغى لمتطلباتها، وأشبعها له وفق نظام معين، دون كبت مرذول، أو انطلاق مجنون، ولم يضطره لمصادمة الفطرة، ولا التناقض مع نفسه، وسما به أن يهبط إلى مرتبة الحيوان، فأمره بالزواج، ورغبه فيه ويسره له، واعتبره مكماً لدينه، وسمح له بالطلاق حين ينعدم الوفاق الروحي، وأباح له التعداد إذا اقتضت الظروف.

(١) الطب الوقائي في الإسلام د. أحمد الفنجري.

وبعد ذلك وقف موقفاً حاسماً مع المنحرفين، الذين يريدون العدوان والصيد في حمى غيرهم، أو التحلل من قيود الأسرة والمجتمع، وأوقع عليهم أشد العقاب، على جريمة الزنا والانحراف، وهو في معالجته لمشكلات الجنس، لم يترك صغيرة ولا كبيرة، إلا طرقها، ووضع لها تنظيماً ثابتاً ودقيقاً، فاهتم بالتربوية والثقافة الجنسية، ونظم الزواج والطلاق، والتلاقي بين الجنسين، وبيّن أضرار الانحرافات الجنسية، كالزنا واللواط والعادة السرية، ووضع تنظيماً للصحة الجنسية كالطهارة والغسل بعد الجماع والمحيض، وعدم المجامعة أثناء الحيض، بل واهتم بالأوضاع والعلاقات الجنسية، والوضع الصحي لها.

فعلى كل ذلك لتهيئة حياة زوجية سليمة، ولبناء بيت إسلامي متكامل، وأسرّة إسلامية نظيفة، لأن الأسرّة السعيدة المستقرة، هي أساس المجتمع المتكامل، فاستقراره من استقرارها، وقوته من منعتها، وأطفالها اليوم، رجاله وقادته في الغد.

وإسلام يشجع على الزواج، ويعتبره ضرورياً للحياة الطبيعية، ولكمال الدين، ويأمر به. قال صلى الله عليه وسلم "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج"^(١)، ويعتبر الساعي للزواج كالمجاهد في سبيل الله، وحق على الله والناس أن يعينوه، "ثلاثة حق على الله عونهم، المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف"^(٢).

وإسلام يعتبر الزواج، بداية المرحلة الفعالة والمنتجة، في حياة كل إنسان، ويعتبره علماء الاجتماع، ضرورة لبناء المجتمع السليم المتعاون على

(١) صحيح البخاري.

(٢) رواه أحمد والنسائي والترمذي.

الخير والمودة والخلق الكريم، ويعتبره علماء الاقتصاد، ضرورة الاستقرار في العمل، والإنتاج المادي والفكري، ويعتبره علماء الطب، الخطوة الأساسية نحو حياة جنسية سليمة، خالية من الأمراض النفسية والتناسلية، وإنتاج نسل صحي سليم.

هذا بعض من كل في هذا المجال، إذ بظل الإسلام تختفي الأمراض، عوضاً عن الأعراض، التي تقتصر المناهج الوضعية على علاجها. نعم إنه يعالجها علاجاً جذرياً، وبقي الإنسان شرورها قبل أن ترى النور، دون حاجة إلى عيادات ومختبرات، ولا إلى أخصائيين وآلات، إنه ينظر إلى الإنسان نظرة شمولية، فيصح نظرة الفرد والمجتمع إلى الجنس، بتقديم الموقف العدل الوسط بين جنون الشهوة وبين الكبت والحرمان، ويسد كافة النوافذ والذرائع المؤدية إلى الشذوذ، ويقوم الرقيب الداخلي في كل نفس، هذا الرقيب الذي يحرسها أكثر من قوى الأمن، ثم يضرب بيد من حديد على يد كل من تسول له نفسه العبث بحمي غيره، ثم يكفيه بعد ذلك، كلمة في كتابه العزيز، ليرد الأمة إلى الطريق المستقيم.

نعم لقد قرر ابتداءً، أن بين جوانب الإنسان غريزة جنسية، خلقت لتعيش، ولكي تعيش لا بد لها من غذاء، وإلا فجوعتها عارمة وغداؤها الفطري هو المرأة، لذا نظر إليها على أنها شقيقة الرجال، وصانعة الأجيال، ونصف المجتمع، لا دمية بيد الرجل، يتسلى بها كيف شاء، فأعتبرها نصفاً حقيقياً لمجتمع فاضل، وأناط بها دوراً سامياً، لا يستطيعه غيرها، وأوجب تكريمها بنتاً وأختاً وزوجةً وعضواً فاعلاً في المجتمع، وهو في سبيل ذلك، يقرر للغريزة الجنسية ضوابط أخلاقية، في ضوء تقديره لطبيعة الكائن البشري واحتياجاته، لذا جاء تنظيمه للحياة الإنسانية، دقيقاً يحفظ عليها

إنسانيتها، وبقائها غوائل الشذوذ والاحتراف، والتصادم والكبت والحرمان، ولتحقيق ذلك محمد إلى إقامة الرقيب الذاتي في أعماق النفس، لتعاف الخبايا، وتستكثر من المكارم، ويستنهض فيها نوازع الخير، فتكتسب مناعة ضد ما يعترضها من نوازع الشر، ودوافع الهوى.

ولما كان الزنا واللواط طرقاً منحرفة لتصريف الطاقة الجنسية، ولما لها من آثار سلبية، من اختلاط للأسباب، وانهيار للأسر والمجتمعات، وانتشار للأمراض، وطغيان للردائل واندثار للفضائل، فإنها بحق عدوان على الفطرة البشرية، وعدوان على الأسرة في التآلف والمودة، والطمأنينة والاستقرار، وتخريب ظاهر للمجتمع، الذي يقوم على الفرد أولاً والأسرة ثانياً.

لذا رأينا الإسلام، يغلظ العقوبة للشاذين، ليستأصل شأفة الشذوذ، وغريزة الإجرام من نفس صاحبها، فيريح المجتمع من شره وأذاه، كما حرم كذلك كل طريق يؤدي إليه، لأن من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه، وبذا حرم الزنا ومقدماته ودواعيه، من تبرج جاهلي، وخلوة آثمة، واختلاط عابث، وصور عارية، وأدب مكشوف، وغناء فاحش، وكل ما من شأنه أن يستثير الغريزة الهاجعة، ويفتح منافذ الفتنة على الرجل والمرأة، أو يغري بالفاحشة، أو يقرب منها أو يبسر سبيلها.

وهو بالمقابل يسعى جاداً إلى إشاعة الجو الاجتماعي النظيف، بالدعوة إلى الزواج والنهي عن التبتل والكبت، والأمر به عند الاقتدار، ولم يترك فرصة إلا وحض على تسهيله وتيسيره، دون عراقيل أو قيود، لأنه الحل العملي، والطريق الفطري السليم، لإفراغ الشحنة الجنسية، وهو لاعتبارات إنسانية هامة، فردية واجتماعية، أباح التعدد، شريطة العدل، فقد تكون النساء أكثر عدداً من الرجال، فهنا تقتضي مصلحة المجتمع، ومصلحة النساء

أنفسهن أن يكن ضرائر، لا أن يعشن العمر كله عوانس، محرومات من الحياة الزوجية وما فيها من سكون ومودة وإحسان.

المراجع العربية

المؤلف	المرجع
عبد الرحمن واصل	- مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الإسلامية
الحافظ المنذري	- الترغيب والترهيب
عمر رضا كحالة	- الزنا ومكافحته
الدكتور محمد علي البار	- الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها
الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم	- صحيح مسلم
الإمام محمد بن إسماعيل البخاري	- صحيح البخاري
الدكتور عبد الحميد القضاة	- الأمراض الجنسية عقوبة إلهية
محمد فؤاد عبد الباقي	- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
عبد الوهاب النجار	- قصص الأنبياء
الدكتور ماجد أبو رحية	- الأشربة وأحكامها في الشريعة الإسلامية
الدكتور أحمد شوقي الفنجري	- الطب الوقائي في الإسلام

المراجع الإنجليزية

الكتب

- 1- AIDS, Etiology, Diagnosis, Treatment and Prevention (1985) by Vincent T. Devita et al.
- 2- AIDS, a Special Report (1985) New York.
- 3- AIDS (1985) by Vector G. Daniels.
- 4- Wellcome atlas of STDS (1985) by Yehudi. M. Felman
- 5- Morbidity and Mortality weekly Reports, June 1981-Sept. (1985) by C.D.C. U.S.A.
- 6- AIDS, Diagnosis and Management (1983) by Macher et al.
- 7- ABC of stds (1984) by Michael. W. Alder.
- 8- The AIDS Epidemic (1984) by Kevin M. Cahill.
- 9- AIDS, A Basic Guide for Clinicians (1984) by Ebbesen et al.

الدوريات الإنجليزية

- Groopman and Gottlieb (1982) Hospital Practice.
- Spivak, J.L. (1984) A.J. Medecine vol.77.
- Omar Sattur (1985) New Scientist. U.S.A.
- Bulletin of W.H.O (1984) 62 (3) AIDS.

- Pifer, L.L. (1983) Pnemocystis. Carolina Tips Vol. 46 No. 11
- Stover et al (1985) A.j. Medecine Vol. 78.
- Gottlieb. Et al (1983) Annals. I. Med. Vol. 99. AIDS.
- Ann Moreton. (1985) Nursing Mirror. Vol. 161. No. 1.
- U.K. Health Department. (1984) AIDS – Interim Guidelines.
- Brian Wong et al (1985). A.J. Medicine Vol. 78.
- Ian Anderson (1984). New Scientist (12 April).
- John Scale (1985) AIDS. New Scientist.
- Donald Scroedar (1985) The Plain Truth.
- Cowan. M. et al (1984) Pediatrics Vol. 73 (3).
- Modigliani et al (1985) Guty 26 (2).
- Andrew Lloyd (1984). New Scientist.
- Omar Sattur (1984) New Scientist.
- Susan Krown (1985) Roche Oncology News Interferons No. 22.
- Michael Adler (1984) B.m.j. 288 No. 6425.
- Viza D. (1985) AIDS Panic. Nature 317.
- Montagnier L. et al (1985) Research. Vol. 16.
- Editorial (1985). Nature.
- Dajani. Y. (1985) B.C.M. Labs Vol. 3 No. 4.
- News week. December (1981).
- Time. August (1985) AIDS.
- News week. August (1985) AIDS.
- American Pharmacy. Vol. NS 23 No. 10 (1983). AIDS.
- Interface, Special Bulletin (1985) Anti HTLV III.
- Editorial (1985). J.R.S. Medecine. Vol. 78. AIDS.
- Groopman J.E. (1985). Prespectives. HTLV III. Vol. 8 No.1.

- **Sattar Memon, (1984) Resident staff Physician. Vol. 30, No. 2.**
- **Amman A.J. et al (1985) JAMA. Vol. 253, No. 21.**
- **Weber et al (1984) BJUD Vol. 7, No. 6.**
- **Najera R. et al (1985) Lancet.**
- **Bayley A. et al (Feb. 1985) Lancet.**
- **Cooper D.A. et al (Mar. 1985) Lancet.**
- **Weber et al (1985) G.U. Medecine Vol. 61, No. 5.**
- **Miller and Green (1985) G.U. Medecine Vol. 61, No. 4.**
- **Maw R.D. et al (1985) G.U. Medecine Vol. 61, No. 3.**
- **Ian Weller (1984) Post Graduate Doctor Vol. 7, No. 6.**

الفهرس

٥	-----	مقدمة
٧	-----	الفصل الأول: لمحة تاريخية عن ظهور الإيدز
١٧	-----	الفصل الثاني: تعريف مرض الإيدز
٢٠	-----	الفصل الثالث: الفيروس المسبب للإيدز
٢٧	-----	الفصل الرابع: طرق العدوى
٣٢	-----	الفصل الخامس: الإصابة بفيروس الإيدز
٣٦	-----	الفصل السادس: أطوار المرض وأعراضه
٤٢	-----	الفصل السابع: الانتانات الانتهازية
٥٦	-----	الفصل الثامن: الإيدز والأورام الخبيثة
٦١	-----	الفصل التاسع: المعرضون للإصابة بالإيدز
٦٩	-----	الفصل العاشر: جون والإيدز
٧٧	-----	الفصل الحادي عشر: الشذوذ مجلبة للعقوبة
٩٧	-----	الفصل الثاني عشر: الوقاية خير من العلاج
١١٦	-----	المراجع العربية
١١٧	-----	المراجع الإنجليزية

رقم الإيداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

١٩٨٥/١٢/٥٤٣